هشام كمال عبد الحميد

يأجوج ومأجوج قادمون



يأجوج ومأجوج قادمون

هشام كمال عبد الحميد

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

هشام كمال عبد الحميد

يأجوج ومأجوج قادمون

من هم يأجوج ومأجوج ؟
وما هي جذورهم ؟
وهل هدم سد ذى القرنين ؟
وماذا قالت الكتب السماوية والتاريخية عنهم ؟

دار البشير
القاهرة



اسم الكتاب: يأجوج ومأجوج قادمون

اسم المؤلف: هشام كمال عبد الحميد

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٥٤٩/ ٢٠٠٥

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-131-2

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسأ

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

الطبعة الأولى
٢٠٠٦



URL: http://www.daralkitab.net

دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

مقدمة الطبعة الثانية

من أكثر الأمم التى اشيع حولها الكثير من الخرافات والاساطير أمتى يأجوج ومأجوج، وقد ساعد فى تأصيل وتجذير هذه الأوهام مجموعة الروايات الإسلامية المرفوعة أو المنسوبة إلى النبى ﷺ وهو منها براء والتى زعم بعض المفسرين والمحدثين صحة سند بعضها وتبرأ من صحة سندها او متنها مفسرين، ومحدثين آخرين، لكن على مدار التاريخ كانت هذه الأحاديث مثار اهتمام الأئمة والوعاظ وكثيراً ما يتداولونها فى خطبهم ومواعظهم مما ساعد على انتشارها وتداولها على ألسنة العامة وهو ما اضفى على هذه الروايات نوعاً من المصداقية والقدسية لظن الكثير من الناس انها مروية عن الرسول ﷺ.

ونفس الأمر تطبق على ذى القرنين والسد الذى بناه ليحجز وراءه يأجوج ومأجوج ويصد به حملاتهم الهمجية البربرية التى كانوا يشنونها كل فترة على القوم المستضعفين الذين استغاثوا به من شرهم.

وقد صدرت الطبعة الأولى من كتابنا فى عام ١٩٩٧ واعتبره الكثير من القراء والناشرين والكتاب أول كتاب يضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية ويزيح الستار عن كل اللبس والغموض والغرائب والمنكدارت التى كانت متداولة على ألسنة العامة والخاصة او متناثرة فى كتب التفسير والحديث حول يأجوج ومأجوج وشخصية ذو القرنين والسد الحديدى الذى شيده بين الجبلين.

وقد آثار هذا الكتاب إعجاب الكثيرين واثنوا على ما بذل من جهد فيه وما احتواه من معلومات تاريخية وخرائط جغرافية كانت محجوبة عن الكثير من الناس والباحثين حتى وصفه لى بعض الباحثين والكتاب والناشرين بأنه أفضل كتاب صدر عن يأجوج ومأجوج وذو القرنين فى المكتبة العربية حتى الآن، وهو أمر ما كان يتم لى لولا توفيق الله لنا فله الشكر والمنة.

وقد دفع هذا الكتاب الكثير من الهواة والباحثين إلى الكتابة فى نفس الموضوع ومحاولة اخراج اكثر من كتاب مشابه لكتابنا تماماً وقام بعهضم بنقل نفس مصادرنا ومراجعنا ومن نفس كتابنا وبنفس فقراته مع بعض الزيادات او النقصان او إعادة الصياغة والتنويه إلينا كمرجع وليس كتابنا وهو ما آلامنا واثار استيائنا، فلست ممن يهون الشهرة او استحواذهم على العلم لنفسهم فقد اصدرت هذا الكتاب تبصرة للناس وإخراج للعلم الذى مَن الله به علينا وهدفى أن يكون مقدمة لباحثين أخرين من بعدى يتممون الفائدة بمجموعة أخرى من الأبحاث الجديدة والمفيدة فى نفس الموضوع فتثرى المكتبة العربية والإسلامية بالمزيد من الكتب والابحاث القيمة والجديدة، اما أن تقتصر المسألة على رغبة من بعض الباحثين والناشرين فى تقليد الكتاب ونقل اكثر من ثلثة او نصفة دون أى إضافات جديدة فى الموضوع لتحقيق مكاسب مادية لان الكتاب عليه إقبال من القراء، فهذا ما لا نرضى عنه، لذا نوهت بعض هؤلاء الناشرين والباحثين عندما اتصلوا بى بضرورة الإشارة إلى كتابنا كمرجع فى اى فقرات يتم نقلها عنا حتى لا اضطر إلى إتخاذ الإجراءات القانونية ضدهم وإلا يزيد حجم هذه الفقرات عن الحدود المسموح بها قانوناً.

وأن يضيف للموضوع اشياء جديدة وعلم مفيد حتى تصبح هذه الكتب مراجع لنا فى نفس الموضوع بعد ذلك وتعم الفائدة ويزداد النفع وها أنا ذا أقدم للقراء الطبعة الثانية من هذا الكتاب التى تفضل الاستاذ الفاضل/ صاحب دار الكتاب العربى للنشر والتوزيع والتى تعد من كبرى دور النشر

العربية التى انشرف بالإنضمام لكتابها بطباعة وتقديم الطبعة الثانية منه، وأسأل الله أن يجعل فى هذا الكتاب المزيد من النفع والفائدة للقراء والباحثين، وأن يصبح مقدمة لمزيد من الأبحاث القيمة فى نفس الموضوع.

القاهرة فى ٢٥/٧/٢٠٠٥

هشام كمال عبد الحميد
ت: ٥٦٩٢٣٧٩
محمول: ٠١٠/٦٥٩١٢٠٦
عنوان المراسلات:
٨ ش صفوت - العمرانية الشرقية
الهرم - جيزة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين القائل : « تركت فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنتى » .

صدقت يا رسول الله ، ففى القرآن الكريم وسنتك ما لو تدبرناه وعقلناه وفهمناه وأخرجنا مكنوناته وخباياه لكفانا عما فى سواهما .

وقد قال ﷺ فى وصفه للقرآن الكريم : « فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إنّا سَمِعنا قُرآناً عَجَباً يَهدى إلى الرُّشْد ﴾ [الجن : ١ ، ٢] من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

والسنة الشريفة مكملة للقرآن ، ففيها تفصيل لما أُجمل فى القرآن ، ومن مجموعهما نصل إلى الرشد والصواب .

ومما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قصة ذى القرنين والسد الذى بناه ليحجز وراءه يأجوج ومأجوج إلى اليوم الذى يدكُّه فيه الله تعالى ، فيخرج يأجوج ومأجوج من ورائه ، مرة أخرى .

كما وردت قصة يأجوج ومأجوج وخروجهم فى نهاية الأيام فى التوراة والإنجيل .

وقد أحاطت بقصتهم الكثير من الخرافات والأساطير ، واختلف العلماء فى تحديد هويتهم أو جنسيتهم وأماكن وجودهم ، ويظن البعض أنهم ما زالوا وراء سدهم حتى زماننا هذا ، وأن هذا السد موجود فى مكان ما على وجه الأرض ، ولكن الله أخفاه ، وأخفاهم عن العيون إلى الميعاد المقدر لخروجهم .

كما اختلف العلماء فى تحديد هوية ذى القرنين وجنسيته ، فذهب البعض إلى أنه الإسكندر الأكبر ، ورأى فريق آخر أنه قورش الفارسى ، وأكد فريق ثالث أنه كان ملكاً من ملوك اليمن الحميريين .

فما هى حقيقة ذى القرنين ، طبقاً لما ورد بسيرته فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ؟

ومَنْ هم يأجوج ومأجوج ؟

وأين يقع السد الذى بناه ذو القرنين وحجزهم وراءه ؟

وهل دُكَّ هذا السد أم ما زال قائماً ؟

وأين تقع بلادهم على خريطة العالم فى الماضى والحاضر ؟

ومن هم يأجوج ومأجوج الذين سيخرجون فى زمان عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء وقتله للدجال ؟

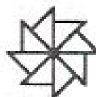
هذا ما سنجيب عنه من خلال مراجعتنا الدقيقة لما ورد بالقرآن والأحاديث النبوية والتوراة والإنجيل والخرائط الجغرافية القديمة فى هذا الشأن .

وأدعو الله أن يوفقنى فى هذا البحث إلى الطريق السديد .

القاهرة فى ١٩٩٦/٣/١

هشام كمال عبد الحميد

عنوان المراسلات
٨ ش صفوت ـ العمرانية الشرقية
ـ أول الهرم ـ الجيزة
ص.ب : ١٢١١١ ت : ٥٦٩٢٣٧٩



الفصل الأول

نسب يأجوج ومأجوج

نسب يأجوج ومأجوج إلى آدم ونوح في الإسلام :

ثبت في الصحيحين أن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . قالوا : يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف ، ثم قال : والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة . فكبّرنا . فقال : أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة . فكبّرنا . فقال : أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، فكبّرنا . فقال : ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود » ـ (أخرجه البخاري) .

وقد أشار الحديث إلى أن عدد أمة محمد ﷺ من تاريخ بعثته وحتى قيام الساعة سيمثل واحداً في الألف يوم القيامة من عدد أمة يأجوج ومأجوج من تاريخ نشأتهم وحتى قيام الساعة ، مما يفيد أنهم يمثلون أكثر سكان الأرض ، ويفيد أيضاً أنهم من أولاد آدم وعلى هيئاتهم وأشكالهم ، وليسوا بالهيئات والأوصاف الخرافية التي أشيعت عنهم على مر الأزمان والعصور ، كما سنوضح ذلك في موضعه .

وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« وُلد لنوح سام وحام ويافث ، فوُلد لسام العرب وفارس والروم ، وولد لحام القبط والبربر والسودان ، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة » .

وقد ضَعَّفَ معظم علماء الحديث هذا الحديث[١] ولكن هناك أحاديث أخرى تؤكد نفس مضمونه .

عن سعيد بن المسيب أنه قال : « ولد لنوح ثلاثة : سام ويافث وحام ، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة . فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر » (رواه أحمد) .

الترك : كانوا يقطنون شمال وشرق آسيا في منطقة سيبيريا شرق الاتحاد السوفييتي (سابقاً) ومنغوليا .

الصقالبة : كانوا يقطنون غرب الاتحاد السوفييتي وشرق أوروبا وشمال تركيا .

وأخرج الحاكم وابن مردويه من طريق عبد الله بن عمرو « أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم » .

وقال الضحاك : إن يأجوج ومأجوج من الترك . وقيل : يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم .

الديلم : كانوا يقطنون جنوب بحر الخزر وهو بحر قزوين حالياً وهي المنطقة الواقعة شمال إيران وجنوب الاتحاد السوفييتي .

وقال ابن كثير : « يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام كما ثبت في الصحيح ... ثم هم من آدم وحواء عليهما السلام . وقد قال بعضهم : إنهم من آدم لا من حواء ، وذلك أن آدم احتلم فاختلط بالتراب ، فخلق الله من ذلك يأجوج ومأجوج ، وهذا مما لا دليل عليه ولم يرد عمن يجب قبول قوله في هذا ، والله أعلم »[٢] .

---

(١) التفسير الوسيط ، مجمع البحوث الإسلامية : تفسير سورة الكهف .

(٢) البداية والنهاية : الفتن والملاحم ـ ذكر يأجوج ومأجوج .

وقد أشار ابن كثير في تعليقه هذا إلى ما رواه كعب الأحبار عن يأجوج ومأجوج عندما قال : « يأجوج ومأجوج من ولد آدم من غير حواء ، وذلك أن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق منها يأجوج ومأجوج » .

وقد احتج معظم العلماء على قول كعب الأحبار هذا بأن النبى لا يحتلم ، وأنه وقع فى روايات أخرى أنهم من أولاد يافث بن نوح ، ونوح ابن آدم وحواء ؛ وبالتالى فهم من أولاد آدم وحـواء معاً ؛ لأنه لا يعقل أن ينتسبوا إلى نوح ولا ينسبوا إلى آدم وحواء معاً .

وقال ابن كثير : « يأجوج ومأجوج طائفة من الترك ، وهم مغل[1] المغول ، وهم أشد بأساً وأكثر فساداً ، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم .

وقد قيل : إن الترك إنما سموا أتراكاً ؛ لأن ذا القرنين حين بنى السد وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه بقيت منهم طائفة لم تكن فاسدة مثلهم ؛ فتركهم وراء السد فسموا الترك »[2] .

وسئل الإمام النووى : هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء .. ؟

فأجاب : هم من ولد آدم وحواء عند أكثر العلماء .

وقال ابن عبد البر : « الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام » .

مما سبق نخلص إلى أن العلماء مجمعون على أن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم وحواء معاً ، ثم إنهم من أولاد يافث بن نوح .

وقال بعضهم : إنهم من الأتراك . وقال البعض الآخر : إن الأتراك طائفة ويأجوج ومأجوج طائفة أخرى غيرهم ، ولكن الكل مجمع على أن يأجوج ومأجوج والأتراك والصقالبة ، كلهم من أولاد يافث بن نوح .

وطبقاً للخرائط والوثائق التاريخية التى يرجع تاريخها لأكثر من ألف عام والتى سنعرضها فى حينها ، فإن يأجوج ومأجوج والأتراك والصقالبة والديلم كانوا يقطنون فى منطقة شرق آسيا ، وشمال شرق وغرب آسيا .

---

(١) مغل : أى : أشد طائفة فيهم .

(٢) البداية والنهاية : ابن كثير ـ جـ ٢ ـ ذكر أمتى يأجوج ومأجوج .

نسب يأجوج ومأجوج إلى آدم ونوح فى التوراة والإنجيل :

أطلقت التوراة على مأجوج لفظ « ماجوج » بدون همزة على الألف الموجودة فى اللغة العربية ، وأطلقت لفظ « جوج » بدلاً من يأجوج ، واعتبرت أن جوج رمز لرئيس شعب ماجوج أو اسم له ، ونسبت شعب ماجوج إلى ماجوج بن يافث بن نوح .

فعن نسب ماجوج إلى يافث بن نوح قالت التوراة :

« وهذه مواليد بنى نوح : ســــام وحام ويافث . وولد لهم بنون بعد الطوفان . بنو يافث جومر وماجوج ومادای وياوان وتوبال وماشك وتيراس » .

(سفر التكوين : الأصحاح العاشر : ١-٢) .

وورد ذكر جوج على أنه رئيس شعب ماشك وتوبال فى أرض ماجوج على لسان حزقيال النبى :

« وقال لى الرب : يا بن البشر التفت إلى جوج ، رئيس ماشك وتوبال فى أرض ماجوج » .

(سفر حزقيال : الأصحاح الثامن والثلاثون [١-٢] نص الترجمة السبعينية للكتاب المقدس) .

وبعض مُفسّرى الكتاب المقدس يرون أن جوج هو رئيس ماجوج ، والبعض الآخر يرى أن جوج رمز ليأجوج ، وماجوج رمز واسم لمأجوج المتداول عند العرب [١] .

ومما سبق يتضح أن يأجوج ومأجوج يعتبران بالتوراة أمتين ، وينسبون إلى يافث بن نوح عليه السلام ، وبالتالى فهم ينسبون إلى آدم وحواء معاً ، فلا يوجد عندهم نص ينسبهم إلى آدم وحده دون حواء .

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ، وهوامش سفر حزقيال إصحاح ٣٧ ، ٣٨ بالترجمة السبعينية للكتاب المقدس ، وتفسير سفر حزقيال : رشاد فكرى .

أما فى الإنجيل فلم يرِدْ ذكر يأجوج ومأجوج سوى فى رؤيا يوحنا اللاهوتى بالأصحاح العشرين ، عندما ذكر خروجهم ليفسدوا فى الأرض ويهلكوا الحرْث والنسل فى نهاية الأيام .

ولم يرِد بالإنجيل شيء عن نسبهم إلى نوح أو آدم نظراً إلى أن الإنجيل يعتبر مكملاً للتوراة ، وتعتبر التوراة المصدر الأساسى للتشريع عند المسيحيين ، والمصدر الأساسى لأى معلومات عن بدء الخليقة وأنساب البشر .

وعلى ذلك فالمسيحيون يأخذون بما ورد فى ســـفر التكوين بالتوراة فى هذا الشأن ، فينسبون يأجوج ومأجوج إلى يافث بن نوح عليه السلام ، وكذلك ينسبونهم إلى آدم وحواء معاً .

خرافات وأباطيل شائعة عن صفات وطبائع وأشكال يأجوج ومأجوج :

أشيعت مجموعة من الروايات والأحاديث والخرافات المختلفة والمتضاربة عن صفات وطبائع وأشكال يأجوج ومأجوج ، فذُكر فى بعضها أنهم كانوا غاية فى القصر ، وفى البعض الآخر أنهم كانوا طول النخلة ، وحكى أن لهم آذاناً طويلة جداً ، حتى إن الرجل يفترش أذناً من أذنيه فينام عليها ويتغطى بالأخرى ، وأن لهم أظفاراً مثل الوحوش ، وأنهم من آكلى لحم البشر ، وأن الرجل منهم كان يعيش حتى يرى ألفاً فأكثر من ذريته ... إلخ .

ومعظم هذه الروايات ليست مروية عن النبى ﷺ كما سنرى ، وما روى عنه منها فهى أحاديث موضوعة أو ضعيفة رفضها معظم علماء الحديث ، فكلها روايات وأحاديث مختلقة ، اشتقت من القصص الخرافية والأساطير التى كانت تُروى عنهم نتيجة كثرة مفاسدهم وشرورهم وبطشهم .

وفيما يلى نبذة مختصرة عن أهم الأحاديث والروايات الواردة فى هذا الشأن :

١ - عن عمـــرو بن العاص قال : « إن يأجوج ومأجوج ذَرْء جهنم ، ليس فيهم

صديق ، وهم على ثلاثة أصناف : على طول الشبر ، وعلى طول الشبرين وثلث منهم طوله وعرضه سواء ، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام » .

٢ – روى عن عطية بن حسان أنه قال : « يأجوج ومأجوج أمتان ، فى كل أمة أربعمائة ألف ، ليس منهما أمة تشبه بعضها بعضاً » .

٣ – روى عن الأوزاعى أنه قال : « الأرض سبعة أجزاء ، فستة أجزاء منها يأجوج ومأجوج ، وجزء فيه سائر الخلق » .

٤ – روى عن قتادة أنه قال : « الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ (يعنى : الجزء الذى فيه سائر الخلق غير يأجوج ومأجوج) فاثنا عشر للهند والسند ، وثمانية آلاف للصين ، وثلاثة آلاف للروم ، وألف فرسخ للعرب » .

٥ – ذكر علىّ بن معبد عن أشعث عن شعبة عن أرطأة بن المنذر قال :

« ...... يأجوج ومأجوج ذَرْء فى جهنم ، وهم على ثلاثة أثلاث : ثلث على طول الأرز[1] ، وثلث مربع طوله وعرضه واحد وهم أشد ، وثلث يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ، وهم من ولد يافث بن نوح » .

٦ – ومما أخرجه ابن عدى وابن أبى حاتم والطبرانى فى « الأوسط » وابن مردويه من حديث حذيفة رفعه قال :

« يأجوج ومأجوج أمة أربعمائة ألف ، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه ، كلهم قد حمل السلاح » .

٧ – وأخرج ابن حبان من حديث ابن مسعود رفعه :

« إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا ، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً » .

٨ – عن كعب الأحبار قال : « خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف : صنف أجسامهم كالأرز ، وصنف أربعة أذرع طولا وأربعة أذرع عرضاً ، وصنف يفترشون آذانهم ، ويلتحفون بالأخرى فيأكلون مشائم[2] نسائهم » .

---

(١) الأرز : شجر الأرز المعروف ، وهو شجر الصنوبر .

(٢) المشائم: جمع مشيمة وهى الغشاء الذى يحيط بالجنين فى البطن ويخرج معه عند الولادة.

٩ - قال القرطبي في « التذكرة » : « ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال : « يأجوج أمة لها أربعمائة أمير ، وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده ، صنف منهم كالأرز ، وصنف منهم طوله مائة وعشرون ذراعاً ، وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى ، لا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم ، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ، فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس » .

ثم قال : ويُروى أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله في الأرض ، وليس لله خلق ينمى كنمائهم في العام الواحد ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم ، يتداعون تداعى الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون [1] تسافد البهائم حيث التقوا ، ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة » .

١٠ - قال عبد الملك : وهما أمتان من ولد يافث بن نوح مدَّ الله لهما في العمر ، وأكثر لهما في النسل ، حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد ، فولد آدم كلهم عشرة أجزاء : يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء ، وسائر ولده كلهم جزء واحد .

وقد علّق « ابن كثير » على هذه الأحاديث بقوله :

« ومن زعم أن يأجوج ومأجوج على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً ، فمنهم من هو كالنخلة ، ومنهم من هو غاية في القصر ، ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى ، فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان ، والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم .

وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً فصاعداً فهى أحاديث غريبة جداً وأسانيدها ضعيفة ، وفيها نكارة شديدة » [2] .

---

(١) التسافد : هو نزو الذكر على الأنثى ، أى : الجماع .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير : جـ ٢ / فصل يأجوج ومأجوج .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى : « لم يثبت فى قَدْرِ أعمارهم شىء »[(١)] .

وأقرت لجنة العلماء الأزهرية التى وضعت « التفسير الوسيط » للقرآن الكريم الصادر عن مجمع البحوث الإسلامية دخول الكثير من الخرافات على قصة يأجوج ومأجوج ، وذلك عند تفسيرها لسورة الكهف بقولها :

« يأجوج ومأجــــوج هما قبيلتان من البشر ، وقد أحيطت قصتهم ببعض الخرافات .. » .

مما سبق يتضح أن هناك إجماعاً على أن يأجوج ومأجوج من أولاد آدم وحواء معاً ، ويُنْسبون إلى يافث بن نوح فى الغالب ، وأنهم كانوا بشراً مثل سائر البشر يأكلون ويشربون ما يأكله ويشربه البشر ، ولهم نفس صفات وطبائع وأشكال البشر ، ولكنهم أشد منهم قوة وطغياناً وشروراً ومفاسد .

كما أنهم ليس فيهم من يشبه الحيوانات أو الوحوش أو يُعمِّر آلاف السنين مثلما أشيع فى الأحاديث والروايات والأساطير الخرافية المروية عنهم .



(١) ثلاثة ينتظرهم العالم : عبد اللطيف عاشور .

الفصل الثاني

قصة ذى القرنين مع يأجوج ومأجوج

قصة ذي القرنين في القرآن :

قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ [١] وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً * وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَآءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُواْ يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً * ءَاتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُواْ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ ءَاتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُواْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقّاً * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ . [سورة الكهف : ٨٣ – ٩٩]

---

(١) عين حمئة : أى : تغرب فى أرض طينية سوداء ، وهذا يشير إلى غروبها باتجاه أمريكا الشمالية ، حيث إن هذه الأرض هى الأرض الطينية السوداء فى المنطقة التى تغرب من عندها الشمس ، وفى بعض القراءات وردت « فى عين حامية » أى : ملتهبة أو حمراء ، وهذا ينطبق على منظر الشمس الملتهب عند وقت الغروب ، فكلا القراءتين صحيح ، وينطبقان على مشهد الشمس عند الغروب فى هذه المنطقة .

من الآيات السابقة نستنتج أن ذا القرنين كان نبياً أو رجلاً صالحاً يأتيه وَحْيٌ من الله سبحانه وتعالى كما هو واضح من حديث الله معه في الآيات السابقة ، وأنه كان رجلاً طوّافاً زار الكثير من بلاد الله ، وأنه كان ذا مُلْكٍ وسلطان وجاه وقوة استطاع من خلالها غزو معظم ممالك المشرق والمغرب ، وأن محاربته للكافرين كانت إما بتكليف من الله سبحانه وتعالى كما يتضح ذلك من ظاهر الآيات القرآنية السابقة أو أنه كان يفعل ذلك بباعث الإيمان والتقوى وتعاليم دينه والكتاب الذى يؤمن به والمنزّل من الله سبحانه وتعالى على أحد رسله السابقين .

وأنه زار دول مغرب الشمس . وهى مجموعة الدول التى لها سواحل تطل على الجزء الأوسط والشمالى الشرقى من المحيط الأطلنطى حيث إن الشـــمس تغرب من ناحيتهــــا وهى : موريتانيا و المغرب و إسبانيا و البرتغال و فرنسا و بريطانيا و النرويج والدانمارك و هولنده و بلچيكا و ألمانيا .

كما يمكن اعتبار دول شمال أفريقيا من الدول التى يمكن لمن يقف على شواطئها المطلة على البحر المتوسـط أن يشاهد الشمس وقت غروبها وهى : مصر و ليبيا و تونس و الجزائر و المغرب ، فكل من يقف على أحد شواطئ هذه الدول المطلة على الجزء الأوسط والشمالى الشرقى من المحيط الأطلنطى أو دول شمال أفريقيا يشاهد الشمس وهى تغرب من ناحية الجزء الغربى للمحيط الأطلنطى .

وجد ذو القرنين عند زيارته لدول مغرب الشمس قوماً كفرة غير مؤمنين بالله ، فترك له الله الحرية أن يفعل فى هؤلاء القوم ما يشاء ، إما أن يعذبهم أو يتخذ فيهم حسناً ، فيعفو عنهم ويعظهم ويدعوهم للإيمان بالخالق الواحد القهار ، فاتخذ مع الله عهداً أن يعرض عليهم الإيمان فمن آمن فسيعفو عنه ويكافئه بالحسنى ، ومن يصرّ على كفره فلن يتركه بل سيعذبه وينكّل به .

ثم اتجه إلى دول مشرق الشمس [كوريا ـ الصين ـ منغوليا ـ جنوب الاتحاد السوفييتى ـ أفغانستان ـ إيران ـ العراق ـ باكستان ـ الهند ... إلخ] وهى مجموعة الدول الواقعة فى وسط وجنوب شرق آسيا فوجد هناك قوماً لم يجعل الله بينهم وبين الشمس حجاباً أو ساتراً مثل وجود جبال أو غابات يستظلون بها من الشمس وحرها ، أى : كانت منطقة صحراوية شاسعة ، ولا يوجد فى شمال أو جنوب أو شرق آسيا منطقة تنطبق عليها تلك الأوصاف إلا منطقة سهول الإستبس فى شمال الصين وشرقها

وجنوب شرق الاتحاد السوفيتي وفي منغوليا ، وذلك في المنطقة الممتدة من هضبة التبت غرباً إلى سواحل الصين شـرقاً ، وهي المنطقـة التي كان يسـكنها في الماضي التتار والمغول والأتراك .

ثم جال ذو القرنين في هذه المناطق إلى أن وصل إلى منطقة بين جبلين ، وعندها وجد قوماً « لا يكادون يفقهون قولاً » أي : أن لغاتهم مختلفة عن بعضهم وعن لغته ، ويصعب عليهم فهم لغته في الغالب ؛ لأنهم معزولون عن العالم يعيشون عيشة البدو المنغلقين على أنفسهم ، هذا بالإضافة إلى أنهم قليلو الخبرة والحيلة ، وقد طلب منه هؤلاء القوم أن يبني لهم سداً يحول بينهم وبين ما يشنّه يأجوج ومأجوج عليهم من غارات يسلبون فيها أموالهم ونساءهم وخيراتهم ، وعرضوا عليه أن يجمعوا له مالاً مقابل هذا العمل فرفض وقال : إن ما أعطاه الله له من قوة ومال وسلطان وجاه يجعله في غنى عما سيجمعون له ، وطلب منهم لبناء هذا السد أن يجمعوا له قطعاً من الحديد ويأتوه بالنحاس المذاب ليصنع منهما السد ، وأتمه لهم ، وأغلق به الفتحة التي كان يخرج منها يأجوج ومأجوج من بين الجبلين ، فحصّنهم من شر يأجوج ، ثم أخبرهم أنه سيجيء زمان يدكُّ الله فيه هذا السد ، وذلك في نهاية الأيام ، فيخرج يأجوج ومأجوج منه مرة أخرى ويغيرون عليهم وعلى غيرهم من الأمم .

وقد اختلف المفسرون والمؤرخون حول شخصية ذي القرنين فقال البعض : إنه كان نبياً . والبعض الآخر قال : لم يكن نبياً بل كان رجلاً صالحاً طوّافاً . وقال آخرون : بل كان ملكاً مؤمناً صالحاً . وشذ البعض عن المعقول فقالوا : إنه كان ملَكاً من الملائكة .

كما اختلفوا في تحديد اسمه وجنسيته . فالبعض قال : هو الإسكندر الأكبر المقدوني الإغريقي . والبعض الآخر قال : هو كورش الفارسي . وفريق آخر أكد أنه كان ملكاً من ملوك اليمن الحميريين . وذهب البعض إلى أنه كان ملكاً من ملوك اليمن المعاصرين لإبراهيم عليه السلام . وملوك اليمن في زمن إبراهيم أقدم من ملوك اليمن الحميريين بزمان طويل .

وسنناقش كل رأي من هذه الآراء على حدة في ضوء ما ورد بالقرآن والسنة عن ذي القرنين ؛ وكذلك في ضوء ما سطّره المؤرخون عن الملوك السابقين الذين ظن البعض أن أحدهم ذو القرنين .

هل كان ذو القرنين نبيًا من الأنبياء ؟

أخرج الحاكم من حديث أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « لا أدرى ذو القرنين كان نبياً ، أو لا » .

وقال الفخر الرازى فى تفسيره : « كان ذو القرنين نبياً » .

وقال البعض : إنه لم يكن نبياً ، بل ملكاً صالحاً مؤمناً أو رجلاً صالحاً طوّافاً .

وفى رأيى أن الأفضل والله أعلم هو الجمع بين جميع هذه الآراء ، فنقول : إنه كان نبياً وملكاً صالحاً مؤمناً يطوف البلاد لنشر عقيدة التوحيد والعدل فيها ؛ لأن سياق سيرته فى القرآن يشير إلى أن جميع الأوصاف السابقة كانت تنطبق عليه ، وذلك يمكن استنتاجه مما يلى :

١ - يستدل على أنه نبى من حديث الله له فى قوله تعالى :

﴿ قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾

[الكهف : ٨٦] .

فقوله تعالى « قُلْنا » يؤكد أنه كان يتلقى وحياً من الله ، وقيامه بتعذيب الكافرين والإحسان إلى المؤمنين ودعوة الناس للتوحيد ونشر العدل يدل على أنه كان صاحب رسالة مُكلّفاً بها من الله سبحانه وتعالى ، ولا يشترط أن يكون نبياً وصاحب كتاب سماوى ، كالتوراة أو الإنجيل أو القرآن ؛ فمن الممكن أن يكون نبياً مرسلاً فقط ، ولم ينزل الله عليه كتاباً مثله فى ذلك مثل أنبياء بنى إسرائيل كأشعيا وسليمان ودانيال وحزقيال وزكريا ويحيى ... إلخ كما أن بعضاً من هؤلاء الأنبياء كان نبياً ، وفى نفس الوقت ملكاً بلغ مُلْكه معظم أنحاء الأرض ، وكان يقوم بنشر التوحيد والعدل فيها كسليمان عليه السلام .

أيضاً يستدل على أنه نبى من نبوءته للقوم الذين بنى لهم السد والتى أخبرهم فيها بأن هذا السد سيأتى عليه يوم ويدكُّه الله ، وذلك فى قوله ﴿ **فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ**

دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف : ٩٨] فهذا القول كان إخباراً بالغيب من ذى القرنين لهؤلاء القوم ، ولا يمكن أن يخبرهم بغيب إلا إذا كان الله هو الذى يوحى إليه بهذا الغيب ، وهذا يدل على أنه نبى .

وقد ذهب من قال إنه لم يكن نبياً عند التعليق على إخبار ذى القرنين لهؤلاء القوم بهدم السد في المستقبل إلى أنه من الجائز أن يكون سمع هذا الكلام من نبى مرسل كان قبله .

وهذا كلام مردود لسبب بسيط هو أن أى نبى قبله لم يكن السد موجوداً فى زمانه ؛ لأن ذا القرنين هو الذى بنى السد ، فكيف سيتنبأ نبى بهدم السد فى زمان كان السد فيه غير موجود أصلاً ؟ ثم من هو هذا النبى ؟ وهل هو من نفس القوم الذين بنى لهم ذو القرنين السد ، أم كان نبياً مرسلاً إلى قوم غيرهم ؟ فإن كان منهم ، فما اسمه ؟ لأن المنطقة التى بنى فيها السد كما سنعلم بعد ذلك لم يرسل إليها أحد الأنبياء الكبار أصحاب الكتب السماوية أو حتى غيرهم حسب المعلومات الدينية والتاريخية المتوفرة لدينا حتى الآن .

وإن كان نبياً مرسلاً إلى قوم غير هؤلاء القوم ، فما هى المناسبة التى جعلته يتحدث عن هذا السد ويحدد موقعه ، ثم يحدد ميعاد هدمه ؟

يضاف إلى ما سبق أنَّ كُتب ونبوءات جميع الأنبياء الكبار أصحاب الكتب السماوية ، وكذلك أنبياء بنى إسرائيل أصحاب النبوءات التوراتية لم يرِدْ فى كتبهم ونبوءاتهم أىُّ ذكر لهذا السد سواء عن بنائه أو هدمه .

وعلى ذلك فالأوقع والأدق أن يكون هو صاحب نبوءة هدم السد فى نهاية الأيام ، ونبوءته هذه تؤكد أنه كان يتلقى وَحَياً من الله ، أى : تؤكد أنه كان نبياً .

٢ – يستدل على أنه كان ملكاً ذا سلطان وجاه وقوة ومال وفير من رد ذى القرنين على هؤلاء القوم عندما عرضوا عليه أن يجمعوا له مالاً مقابل بناء السد ، فقال لهم :

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ [الكهف : ٩٥]

فكيف يصبح مُمكّناً فى الأرض إن لم يكن صاحب مُلْك وسلطان وجاه ، وكذلك من فتوحاته التى بلغت دول مغرب الشمس ومشرق الشمس وقدرته على تعذيب أهلها إن كانوا كافرين والعفو عنهم إن قبلوا دعوته وآمنوا بالله الواحد القهار ، فكل ذلك يدل على أنه كان صاحب جيش قوى وملك عظيم .

٣ - يستدل على أنه كان رجلاً طوّافاً من رحلاته أو غزواته ناحية مغرب الشمس ومشرق الشمس .

مما سبق يمكننا القول بأن ذا القرنين جمع بين النبوة والملك الواسع ، مثله فى ذلك مثل سيدنا سليمان عليه السلام والله أعلم ، ولعل ذلك يؤكد ما أخرجه الزبير ابن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه عن سفيان الثورى قال : « بلغنى أنه ملَكَ الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان النبى عليه السلام وذو القرنين ، والكافران نمرود وبختنصر » ورواه وكيع فى تفسيره عن العلاء ابن عبد الكريم عن مجاهد .

الصفات الواجب توافرها فيمن نظن أنه كان ذا القرنين :

عند القول بأن ملكاً معيناً هو ذو القرنين لا بد أن تتوافر فى هذا الملك عدة صفات طبقاً لما حدده القرآن ، وهى :

١ - أن يكون هذا الملك نبياً أو - على أقل تقدير - رجلاً مؤمناً صالحاً مُوحّداً (وليس وثنياً أو كافراً) ، ومتصفاً بالعدل والرحمة وجيشه وقومه مؤمنون مثله .

٢ - أن يكون هذا الملك ذا قوة وسلطان وجاه ومال وجيش عظيم .

٣ - أن تكون فتوحات وغزوات هذا الملك قد وصلت إلى إحدى دول شمال إفريقيا المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، أو المحيط الأطلنطى ، أو دول غرب أوربا المطلة على الجزء الشمالى الشرقى من المحيط الأطلنطى ، ونتج عنها نشر التوحيد فى هذه المناطق ، وكذلك تكون فتوحاته قد وصلت إلى دول شرق آسيا .

٤ – أن تكون هذه الفتوحات والغزوات بغرض نشر التوحيد والعدل فى الأرض ، وليست بغرض التوسع وتحقيق الطموحات والأطماع الشخصية .

٥ – أن يكون هذا الملك قد بنى سدّ يأجوج ومأجوج بإحدى المناطق القريبة من مطلع الشمس ، وبالتحديد فى شرق آسيا أو شمال شرق آسيا أو جنوب شرق آسيا .

٦ – أن يكون هذا السد مبنياً من قطع الحديد الملتصق بالنحاس المذاب ويكون السد بين جبلين .

٧ – أن يتوافر فى هذا الملك علامة أو صفة تشير إلى سبب تسميته بذى القرنين .

الإسكندر الأكبر لا تنطبق عليه صفات ذي القرنين :

أكد بعض المفسرين والباحثين أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور فى القرآن ، استناداً ـ كما قال ابن حجر العسقلانى – إلى ما أخرجه الطبرى ومحمد بن ربيع الجيزى فى كتاب « الصحابة الذين نزلوا مصر » بإسناد فيه ابن لهيعة أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن ذى القرنين فقال :

« كان من الروم فأعطى مُلْكاً ، فصار إلى مصر وبنى الإسكندرية ، فلما فرغ أتاه ملك فعرج به . فقال : انظر ما تحتك ، قال : أرى مدينة واحدة . قال : تلك الأرض كلها ، وإنما أراد الله أن يريك وقد جعل لك فى الأرض سلطاناً فسِرْ فيها وعلّم الجاهل وثبّت العالم » .

وقال ابن حجر العسقلانى « وهذا الحديث لو صحّ لَرُفع النزاع ، ولكنه ضعيف والله أعلم »(١) .

وكل علماء الحديث قد ضعّفوا هذا الحديث أيضاً .

---

(١) فتح البارى ـ ابن حجر العسقلانى : جـ ٦ ـ كتاب الأنبياء ـ قصة يأجوج ومأجوج .

وقد أكّد الإمام الرازى فى تفسيره الكبير أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين فقال ما ملخصه :

« إن القرآن دلّ على أن مُلْكَ ذى القرنين بلغ إلى أقصى المغرب وأقصى المشرق وجهة الشمال ، وذلك تمام المعمورة من الأرض ، ومثل هذا الملك يجب أن يبقى اسمه مُخلّداً ، ولا يوجد ملك خلّده التاريخ واشتهر اسمه وبلغ مُلْكه تمام المعمورة سوى الإسكندر الأكبر » [(١)] .

ولكن وللأمانة العلمية ، فقد شكك الإمام الرازى فى نهاية حديثه عن الإسكندر الأكبر فى أن يكون هو ذا القرنين بسبب أن معلّمه ووزيره كان أرسطاطاليس ، والثابت أنه كان كافراً فعقب وقال : لو سلمنا أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين ، فلا بد من التسليم أن أرسطاطاليس كان رجلاً مؤمناً . وهذا ليس صحيحاً .

وليس الرازى وحده ، من بين المفسرين القدماء ، الذى أكد أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين ، فقد ذهب إلى نفس الرأى مفسرون آخرون وبعض الصحابة والتابعين ، كمعاذ بن جبل (على ما فى مجمع البيان) وقتادة (على ما فى الدر المنثور) وابن سينا (فى كتاب الشفاء بذى القرنين) وابن الأثير فى (الكامل فى التاريخ) وغيرهم .

كما ذهب إلى نفس الرأى بعض الباحثين المعاصرين ، أذكر منهم على سبيل المثال الأستاذ عبد الرحمن يوسف العبد ، فى كتابه « ذو القرنين » ، وقد دافع عن وجهة نظره فى أن « ذو القرنين » هو الإسكندر الأكبر بحجج واهية غير منطقية ، بل على العكس فإن جميع ما ساقه من حجج تثبت وتؤكد أن « الإسكندر الأكبر » ليس ذا القرنين .

كما شنّ فى كتابه هجوماً عنيفاً على الأستاذ سيد قطب ؛ لأنه كان من المؤيدين لأصحاب الرأى القائل بأن الإسكندر الأكبر كان كافراً وثنياً ، وبالتالى فهو ليس ذا القرنين ، وما كنت أحبذ أن يشنّ سيادته هذا الهجوم عليه ؛ لأن سيد قطب ليس أول

---

(١) التفسير الكبير ـ الفخر الرازى : جـ ١١ ـ تفسير سورة الكهف .

من قال إن الإسكندر ليس ذا القرنين ، فهناك الكثير من المفسرين للقرآن ، والمؤرخين ، والعلماء الذين أكدوا نفس الرأى ، وكل منهم كان له حجج قوية فى هذا المجال ، والكل كان يجتهد ، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ ، فإن أصاب فله أجران عند الله ، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده .

وفيما يلى ملخص للحجج التى ساقها الأستاذ عبد الرحمن يوسف العبد فى كتابه « ذو القرنين » والتى يستدل من خلالها على أن « ذو القرنين » هو الإسكندر الأكبر ، وسنكتفى بذكر حججه دون حجج باقى العلماء والمفسرين الذين أكدوا أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر ؛ لأن حججه كانت تشمل حجج من سبقوه بالإضافة إلى مزيد منها ، ثم سنعقب على كل حجة منها بالأدلة التى تقطع بأن « ذو القرنين » ليس « الإسكندر الأكبر » :

يقول الأستاذ عبد الرحمن يوسف العبد تحت عنوان « الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين » ما ملخصه :

« أما الإسكندر الأكبر الذى يعتبر أكثر المرشحين ترجيحاً لدى أئمة المفسرين والمؤرخين فهو الإسكندر بن فيليب ، ملك مقدونيا فى بلاد اليونان القديمة (الإغريق) .

وبلاد الإغريق التى خرج منها الإسكندر الأكبر كانت أول منطقة فى أوربا كلها تصلها الحضارة ؛ ربما لقربها من مصر ، وحضارات الشرق القديم .

وعلى الجانب الشرقى من العالم خارج اليونان كانت الامبراطورية الفارسية تطوى تحت سلطانها كل شعوب الشرق القديم ، وعلى رأسها الملك « دارا » ، ذلك الملك الذائع الصيت .

وقد هدد الفرس بلاد اليونان وأصبحوا خطراً داهماً عليهم ، وأعدى أعدائهم ، وفى خضم هذا الصراع الداخلى والخطر الخارجى ظهر الإسكندر ، وظهر أعظم فلاسفة اليونان أيضاً مثل : سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، وازدهر الفكر ، واحتدم النقاش ولا شيء يصوغ الأمم ، ويحرك وجداناتها مثل الصراع والخطر .

تقدم الإسكندر بجيشه الموحّد صوب الشرق ؛ ليحسم الصراع مع الفرس ، ولقد كان الإسكندر ذلك الفتى اليافع ، البالغ الذكاء ، والذى لم يكن يبلغ العشرين من عمره يحمل على كتفيه ، وفى عقله ، بجانب فكرة الانتقام من الفرس ، كل طموحات اليونان ، وفكر الفلاسفة العظام ، كأنه أحد أنبياء العالم القديم ، وبجانب الإصرار على دحر الفرس ، كان الإصرار على نشر فلسفة اليونان ، وفكره المتقدم .

عبر الإسكندر مضيق البسفور والدردنيل إلى آسيا الصغرى ومنها إلى الشام حيث دارت بينه وبين الملك « دارا » الثالث ، امبراطور الدولة الفارسية ، معركة هائلة ضارية هى معركة « إسوس » فى شمال الشام ، سحق فيها الإسكندر فى عبقرية أسطورية جحافل الفرس الجرارة رغم قلة عدده وعدته ، وقد بالغت المصادر التاريخية فى هول هذه المعركة وفى قوة جيش « دارا » حتى قالت بعض المصادر إن عدد الفرس قد بلغ مليوناً من الرجال .

ولقد هزت هذه المعركة أرجاء العالم القديم .. فمن كان يتصور أن ذلك الشاب اليافع يمزق جيش « دارا » ملك الملوك فى ذلك الوقت ، وسيد العالم القديم ، وبهذه الجرأة والكفاءة ، ثم إن الإسكندر الذى أراد أن ينشر فكر اليونان ، ويمزج حضارة الشرق والغرب ، كرمز لوحدة الشعوب ، كما علمه أستاذه الفيلسوف العظيم أرسطو ، أقام عرساً هائلاً بعد هزيمة الفرس ، زوّج فيه ثلاثمائة من ضباطه بثلاثمائة من أميرات فارس ، كرمز لهذا المزج والتطبيق العملى لفكر اليونان فى وحدة الشعوب .

ثم انسابت جيوش الإسكندر إلى مصر لتؤمّن الجبهة المصرية ، قبل التوغل فى بلاد الشرق صوب الهند ، ومطاردة فلول الفرس الهاربة .

ويحدثنا التاريخ أن الإسكندر ـ بعد أن استولى على مصر ـ قابله كهنة آمون ، إله المصريين المزعوم ، وأفهمه هؤلاء الشياطين أن الإله آمون قد زنى بأمه فى الحلم فأولدها إياه ، وعلى ذلك فإن أباه هو آمون ، وليس فيليب ، وأم الإسكندر هذه ـ التى عشقها إله المصريين المزعوم آمون وأولدها هذا الفتى الرائع ـ كانت امرأة سليطة اللسان ، عصبية المزاج ، بالغة الذكاء ، ميالة للشعوذة ، والتعامل مع الكهان ، وكم عانى منها زوجها الملك فيليب خاصة مع مغامراته النسائية الساقطة وزلاته الكثيرة وكان مع جبروته يتحاشى الصدام مع هذه الزوجة العنيدة العصبية .

وقد كانت هذه المرأة تزور مصر من حين لآخر وتزور مدينة هليوبوليس (عين شمس) بوجه خاص ، ومكانها الآن منطقة عين شمس والمطرية ، وهذه المدينة كانت كعبة الحضارة فى ذلك الوقت ، وفيها أقدم وأعظم جامعة عرفها الجنس البشرى وبذلك كان لكهنة آمون فى هذه المدينة نفوذ فادح ، فقد ادعوا أن عندهم علم ما كان وما يكون فى هذا الكون وأصبحوا أكبر مصدر للنبوءات والإلهام بزعمهم فى العالم القديم ، وقصدهم الحجاج وطلاب الحاجات والمشاكل فى كل أنحاء العالم .

وكان هؤلاء الكهنة يعرفون « أولمبياس » أم الإسكندر باعتبارها زوجة ملك وميلها الفطرى للشعوذة ومزاجها العصبى القلق . وقد ورث الإسكندر عن هذه المرأة مزاجها العصبى المتمرد وذكاءها المتوقد وشخصيتها المسيطرة وميلها الفطرى للتعامل مع الكهان ، والإصغاء إليهم وقلقها الواجم أحياناً ، فكان فى المعارك يتوقد كأنه جمرة من غضب ، وكان يصل فى بعض حالات انفعاله إلى حافة الجنون ، ثم تارة تراه ساهماً حالماً كأنه أحد شعراء الرومانسية الحالمين .

وبهذا المزيج الغريب المتناقض فى الطباع أذهل العالم القديم وأذل أعناق الملوك العظام وأصبح علامة من علامات التاريخ الإنسانى على امتداده .

وصدّق الإسكندر أكذوبة الكهنة المصريين وأنه ابن الإله آمون إله مصر المزعوم ، ونجح هؤلاء الشياطين فى أن يقنعوه ، فيما يبدو ، بذلك خاصة وأن أمه أولمبياس كانت تقول له دائماً : إنك غلام ليس ككل الغلمان .

المهم أنه دخل مصر فى موكب هائل كان له فعل السحر فى نفوس المصريين فقد ذكرهم بمواكب الفراعنة القدامى وزار معبد الإله بتاح أحد الآلهة المزعومة ثم توجه فى مواكبه إلى مدينة طيبة (الأقصر) حيث اخترق طريق الكباش المقدس ودلف إلى معبد الكرنك الشهير يحف به قواده وجنرالاته الثمانية ، وكهنة آمون الشياطين ، حيث ألبسوه التاج المقدس ذا القرنين ، رمز الكباش المقدسة وشعار آمون ، ولهذا عرف فى التاريخ بالإسكندر ذى القرنين .

وهذا لا يعتبر دليلاً قاطعاً على أنه ذو القرنين الذى ذكره القرآن الكريم ؛ لأن تاج القرنين هذا قد سبق أن اتخذه كثير من الفراعنة قبل الإسكندر ، وما تزال صورة الإسكندر الأكبر حتى اليوم وهو يلبس تاج القرنين مرسومة فى مقصورة الإسكندر فى معبد الكرنك .

ثم توجه بعد ذلك إلى واحة سيوة حيث بنى للإله آمون معبداً رائعاً من أعظم معابد مصر .

ثم يستطرد الكاتب فيقول : « بعد هذه اللمحة السريعة عن حياة الإسكندر الأكبر هل نستطيع أن نقرر أنه هو ذو القرنين الذى ذكره القرآن الكريم ؟ لا يمكن أن نجزم بذلك إلا إذا توافرت فيه الشروط الثلاثة الآتية :

١ – أن يكون قد وصل إلى أقصى شرق العالم القديم .

٢ – أن يكون قد وصل إلى أقصى غرب العالم القديم .

٣ – أن يكون رجلاً مؤمناً يؤمن بالله ، وبالتوحيد الذى هو لُبّ الإيمان فقد صوره القرآن الكريم مؤمناً ينفذ مشيئة الله ويرسم طريق الخير والعدل .

أما بالنسبة للشرط الأول : فمن الثابت أن الإسكندر الأكبر ترك مصر واتجه إلى الشرق ودحر ملوك الفرس ثم عبر جبال هندكوش فى وسط آسيا ، واستولى على الهند ، ثم واصل زحفه شرقاً ليصل إلى مياه البحر فى أقصى الشرق ، ويؤكد ذلك ما كتبه المؤرخ العالمى الشهير « ول ديورانت » فى موسوعته الشهيرة « قصة الحضارة » .

وعلى ذلك يمكننا أن نجزم أن الشرط الأول ينطبق عليه وأنه وصل إلى مشرق الشمس .

أما بالنسبة للشرط الثانى : وهو أن يكون قد وصل إلى المغرب الأقصى فى العالم القديم عند منطقة جبل طارق حيث تتراءى الشمس وكأنها تغرب فى عين حمئة ، فإننا نلتقط إشارة سريعة فى كتابات المؤرخين القدامى « بلوتارخوس » و « أريانوس » يقولان فيها ما معناه أن الإسكندر بعد أن بنى معبداً لآمون فى واحة سيوة اتجه بجيشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط قاصداً ليبيا وعند مدينة « باراتونيوم » (الاسم القديم لمرسى مطروح) قابله وفد « قورينى » (الاسم القديم لبرقة) وقدّموا له فروض الولاء والطاعة ، فعاد من مرسى مطروح ولم يتقدم إلى المغرب الأقصى ولم يصل إلى مياه المحيط الأطلنطى عند مضيق جبل طارق لأن سكان هذه المنطقة فى ذلك الوقت من العالم كانوا شعوباً همجية لا وزن لها ولم يكن بهذه المنطقة دولة لها شأن أو ملك يذكر .

وبذلك فإن الشرط الثاني أيضاً ينطبق على الإسكندر الأكبر .

وبالنسبة للشرط الثالث : وهو حظ الإسكندر من الإيمان أو الوثنية .. فلا يمكن أن تكون تصرفاته مع الكهنة المصريين دليلاً قاطعاً على أنه وثني غارق في وثنيته ، بل ربما كانت نوعاً من التكتيك السياسي في مثل هذه المواقف لكي يكسب ولاءهم ، ولو إلى حين ، حتى يتم هدفه الكبير .

وإلى هنا انتهت حجج الأستاذ عبد الرحمن يوسف العبد .

وقبل أن أعقب على هذه الحجج التي ساقها لإثبات أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين ، أحب أن أسرد بعض آراء كبار العلماء والمفسرين في مقولة أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين :

قال « الفخر الرازي » في تفسيره بعد أن ساق حججه في أن يكون الإسكندر هو ذو القرنين : إن الإسكندر الأكبر كان معلمه أرسطاطاليس ، وهو كافر ، وبالتالي لا يمكن التسليم بأنه ذو القرنين إلا إذا تم التسليم بأن أرسطاطاليس كان مؤمناً ، وهو على خلاف ذلك .

وقال ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » جـ ٦ : « الإسكندر كان كافراً ، وذو القرنين كان مؤمناً » .

وقال ابن قيم الجوزية في « إغاثة اللهفان » جـ ٢ :

« ليس الإسكندر المقدوني ذا القرنين ... فذو القرنين كان رجلاً صالحاً موحداً لله تعالى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكان يغزو عباد الأصنام وبلغ مشارق الأرض ومغاربها وبنى السد بين الناس وبين يأجوج ومأجوج .

وأما هذا المقدوني فكان مشركاً يعبد الأصنام هو وأهل مملكته .. وكان أرسطاطاليس وزيره ، وكان مشركاً يعبد الأصنام ، وهو الذي غزا « دارا » ملك الفرس في عقر داره ، فثلّ عرشه ، ومزق ملكه ، وفرق جمعه ، ثم دخل الصين والهند وبلاد الترك فقتل وسبى » .

وقال الطباطبائي في تفسيره « الميزان في تفسير القرآن » :

« إن ذا القرنين كان مؤمناً بالله واليوم الآخر وهو دين التوحيد وكان الإسكندر وثنياً من الصابئين » .

وقال الأستاذ سيد قطب فى تفسيره « فى ظلال القرآن » :

« إن ذا القرنين ليس هو الإسكندر المقدونى المعروف ؛ لأنه كافر ، وذو القرنين مؤمن جيد الإيمان » .

ولكى تحدد ما إذا كان الإسكندر الأكبر هو « ذو القرنين » أم لا فلا بد أن تتوافر فيه الشروط السابقة ، التى حددناها طبقاً لما ورد بقصة « ذو القرنين » فى القرآن وفى ضوء هذه الشروط سنعقب على ما قاله الأستاذ عبد الرحمن يوسف العبد .

الإسكندر الأكبر ليس ذا القرنين للأسباب الآتية :

١ – من الثابت تاريخياً أن الإسكندر الأكبر كان كافراً وثنياً ويستدل على كفره هذا من الآتى :

(أ) عندما قصد الإسكندر الأكبر بنى إسرائيل فى فلسطين ودخل أرضهم بعد غزوه للشام دخل بيت المقدس وتقدم إلى مذبحه وذبح فيه ذبيحة وقد حكى أنه ذبح ذبيحته هذه للمشترى وليس لله [١] .

(ب) إن الإسكندر الأكبر كان ينشر فى الدول التى يغزوها فلسفة اليونان وكانت هذه الفلسفة وثنية كافرة مشركة ولم يذكر أى مؤرخ من مؤرخى التاريخ أنه كان ينشر عبادة التوحيد .

(جـ) إن معلمه وأستاذه كان أرسطاطاليس وكان كافراً وثنياً وكذلك كان كل قواده وقومه وأهل بيته (أى : أهل بيت الإسكندر الأكبر) .

أما ذو القرنين فكان مؤمناً وبالطبع كان وزراؤه وقواد جيشه وقومه مثله لأنه كان يحارب الكفار والمشركين أينما وجدوا فهل يعقل أن يكون أحد وزرائه أو قادة جيشه أو قومه فيهم كفار ويتركهم ذو القرنين ويذهب لمحاربة غيرهم

---

(١) نقلاً عن الميزان فى تفسير القرآن ـ الطاطبائى ـ مصدر سابق ـ تفسير سورة الكهف .

أم يحارب كفار ومشركى قومه ثم يذهب إلى غيرهم ؟ وكون قادة وجيش وقوم وأهل الإسكندر الأكبر وكذلك معلمه أرسطاطاليس كافرين وثنيين فهذا يؤكد أنه ليس « ذو القرنين » .

(د) عندما دخل مصر ادعى أنه ابن الإله آمون ؛ ليشترى رضاء كهنتها وسبق له أن ادعى أنه ابن لأرباب آخرين من الشرق ومن الغرب فى البلاد التى كان ينزلها وفى ذلك يقول الأستاذ عبد العزيز صالح فى كتابه « الشرق الأدنى القديم » ص ٣٢٨ :

« وسلك الإسكندر فى مصر مسلك النزيل الحصيف فاحترم تقاليدها واحترم أربابها وتجشم مشقة الرحلة إلى معبد آمون مقر الوحى فى واحة سيوة بقلب الصحراء الغربية ، وادعى البنوّة له واستلهم وحيه فاعترف كهنته بالأمر الواقع ، وبشـــروا الإسكندر بتأييد ربهم آمون له ونصره ثم أشـــاعوا أن ملكهم نخت حرحب (نكتابو الثانى) كان قد نزح إلى مقــدونيا تتلبســه روح آمون حيث شغف بملكتها أوليمپاس حباً وأنجب منها الإسكندر ..... » .

ويقول « هـ . ج ، ولز » فى كتابه « معالم تاريخ الإنسانية » ص ٤٣٣ ، جـ ٢ :

« عنــدما دخل مصر أظهر الاحترام البــالغ نحو دينهم ولم يعتد على حرمة (أبيس) عجل ممفيس المقدس » .

وتقرب الإسكندر الأكبر للفراعنة وشراء رضاء كهنتها بتقديم ولائه لآلهتهم الوثنية وبناء المعابد لها لا يدل إلا على كفره ووثنيته وعدم وجود أى عقيدة له .

أما ذو القرنين حسب وصف القرآن له لم يكن يتقرب إلى المشركين والوثنيين ويعينهم على عبادة الأصنام والآلهة المتعددة ببناء المعابد لها فهل بعد ذلك من شك فى كفر الإسكندر الأكبر .

(هـ) عندما غزا الإسكندر الأكبر الهند واستسلم ملكها « بورس » له وأسره الإسكندر طلب منه الملك أن يعامله معاملة الملوك وبعد حوار بينه وبين الإسكندر أعجب الإسكندر به وتصيبه ملكاً على الهند مرة أخرى باعتباره تابعاً خاضعاً له وحليفاً أميناً[1] وملك الهند هذا الذى اتخذه الإسكندر حليفاً له كان كافراً وثنياً أيضاً فلو كان الإسكندر هو ذا القرنين المؤمن فهل سيتخذ له حليفاً كافراً ؟

(و) عندما غزا الإسكندر الفرس وهزم الملك « دارا » زوّج ثلاثمائة من ضباطه بثلاثمائة من أميرات فارس ، والفرس كانوا فى ذلك الوقت كفرة أيضاً ولم يعتنقوا التوحيد إلا بعد أن دخل المسلمون أرضهم .

ومعنى ذلك أنه زوّج قواده لكافرات وثنيات لأنه لم يثبت بأى مصدر تاريخى أن هؤلاء الأميرات كنّ موحدات أو أن الإسكندر دعاهم للتوحيد فآمنوا ولم يذكر أيضاً أن قواده كانوا موحدين فكيف يكون هو ذا القرنين المؤمن الموحد هو وجيشه وقواده وقومه .

٢ – لم يثبت تاريخياً أن الإسكندر الأكبر بنى سد يأجوج ومأجوج فكيف يكون هو ذا القرنين ؟

٣ – إن غزوات وفتوحات الإسكندر كانت إما بغرض صد هجمات الفرس على بلاده والقضاء عليهم أو بغرض تحقيق طموحاته وأطماعه الذاتية بتوسيع حدود مملكته ولم يثبت تاريخياً أن غزواته وفتوحاته كانت لنشر عقيدة التوحيد فكيف يكون هو ذا القرنين ؟

٤ – إن تسمية الإسكندر الأكبر بذى القرنين ترجع إلى قيام كهنة مصر بإلباسه التاج المقدس ذا القرنين ، رمز الكباش المقدسة وشعار آمون ، وبالقطع فإن هذا التاج لبسه أكثر من ملك من ملوك مصر ، وكان كل منهم يلقب بذى القرنين أيضاً ، فهذا ليس دليلاً على أنه ذو القرنين المذكور فى القرآن .

---

(١) قصة الحضارة ـ وول ديورانت .

أما سبب تسمية ذى القرنين بهـــذا الاسـم فقد قيـــل فى ذلك أسباب كثيرة لا نستطيع ترجيح أحدها على الآخر لعدم وجود دليل قطعى عليها ، نذكر منها على سبيل المثال ، لا الحصر :

« قيل : سُمِّى بهذا الاسم لأن صفحتى رأسه كانتا من نحاس ، وقال بعض أهل الكتاب : لأنه ملك الروم وفارس .

وقال بعضهم : كان فى رأسه شبه القرنين .

وقيل : لأنه بلغ المشارق والمغارب حيث يطلع قرن الشمس ويغرب .

وقيل : لأنه كان له فى رأسه قرنان نابتان من منبت واحد .

وقيل : لأنه كان له تاج فيه قرنان .

وقيل أيضاً : إنه رأى فى منامه أنه أخذ بقرنى الشمس فسُمِّى ذا القرنين .

وقيل : لأنه كان له ضفيرتان تواريهما ثيابه ، وتسمية الضفيرة من الشعر قرناً كانت معروفة فى الماضى ، من ذلك قول أم عطية :

« وضفرنا شعرها ثلاثة قرون » .

وقول جميل :

– فلثمت فاها آخذاً بقرونها –

وقيل : سمى بذلك لأنه عمّر حتى فنى فى زمنه قرنان من الناس .

وقيل : لأن قرنى الشيطان عند مطلع الشمس وقد بلغه .... إلخ » .

٥ – يقول « هـ . ج . ولز » فى كتابه معالم الحضارة (جـ ٢) عن الإسكندر :

« كان الإسكندر إنساناً موهوباً فى كثير من النواحى مواهب أعلى مما لدى أى رجل فى زمانه ، ولكنه مغرور متشكك فى الناس نزق حاد العواطف وله ذهن أحدثت أمه به انحرافاً وزيغاً » .

ويقول عن أمه : « كانت أمه امرأة قلقة شريرة ، لا يستقر لها قرار ، شغوفة بالأديان ذات الطقوس الخفية التى تقوم على الفاحشة وممارسة السحر وشرب دم الأطفال واستخدام الثعابين » ويقول عن أبيه : « كان أبوه سكيراً مدمناً » .

ويدلل « ولز » على غرور الإسكندر وحبه للتملق وجنون تصرفاته فى بعض الأحيان بالحوادث التالية :

« كان الإسكندر يحب كل من يتملقه ويحط من قدر أبيه فيليب وفى أحد المجالس ثار لذلك أخوه فى الرضاعة « كليتوس » وأثنى على أبيه فيليب ورفض أن ينسب المجد كله للإسكندر ، لأن مجد الإغريق بناه الآلاف من الجنود والقواد بدمائهم ، فثار الإسكندر عليه وطعنه بحربة أحد حراسه فقتله .

كما أعدم « كاليشنيز » ابن أخت « أرسطو » معلمه لأنه رفض أن يقدم له مراسم التقديس ثم أخذ يسير فى كبرياء واختيال كمن دك طغياناً .

وعندما وشى إليه شخص « بفيلوتاس بن بارمينيون » أحد أشد قواده إخلاصاً له وكان الإسكندر يثق به جداً فقال له هذا الشخص أن فيلوتاس قال متفاخراً بنفسه أمام امرأة كان يغازلها إن الإسكندر إنما هو مجرد غلام وأنه لولا رجال من أمثال أبيه (بارمينيون) وأمثاله (فيلوتاس) لما تم له غزو فارس وأشباهها من البلدان ، فأحضر الإسكندر المرأة وصدّقها وعلى الفور اتهم الإسكندر فيلوتاس بالتآمر عليه وأصدر أمراً بتعذيبه وإعدامه بناء على أدلة بتراء ناقصة ، ثم أمر بقتل أبيه الشيخ المسن (بارمينيون) الذى مات ولداه الآخران من أجل الإسكندر فى ميدان القتال قبل أن يبلغه خبر مقتل ولده (فيلوتاس) .

فهذه الحوادث تكشف عن ذهن مضطرب لا يعرف الاتزان ، ومحصور تماماً فى صغائر الأمور الشخصية ، ذهن لم تكن الامبراطورية لديه إلا مجالاً للمظهر الأنانى .

ويؤكد ذلك ما فعله عندما كان صديقه « هيفايستيون » مريضاً ومفروضاً عليه نظام تغذية معين ، فخالف هذا النظام فى غيبة طبيبه ، فقام بأكل دجاجة محمرة واحتسى قنينة من النبيذ ، فمات على الفور ، فحزن على موته الإسكندر ، وآلى على نفسه أن يقيم مظاهر الأسى والأحزان فكان حزنه هذا حزناً مجنوناً معتوهاً ، فقد أمر بصلب

الطبيب ، وقص شعر كل حصان وبغل فى بلاد فارس ، وهدم جميع حصون وطوابى المدن المجاورة ، ومنع الموسيقى بتاتاً فى معسكره ، وأتى بكل البالغين من القرى التى استولى عليها من قرى « القوزيين » ، فأمر بذبحهم قرباناً لروح « هيفايستيون » ، ثم خصص مبلغ عشرة آلاف تالنتوم ؛ لإقامة قبر له ، وكان هذا المبلغ فى تلك الأيام مبلغاً هائلاً من المال » .

انتهى كلام « هـ . ج . ولز » [١] .

وبالإضافة إلى ما وصف به « ولز » الإسكندر من صفات تنفى تماماً عنه أن يكون هو « ذو القرنين » ، تحب أن تسأل كل من ذهب إلى أن الإسكندر هو ذو القرنين الأسئلة الآتية :

ـ هل قيام الإسكندر بذبح البالغين من « القوزيين » قرباناً لروح « هيفايستيون » صديقه لا يؤكد أنه وثنى ، وأنه شخص معتوه مجنون ؟ .

ـ هل قيام الإسكندر بقتل أعز أصدقائه « فيلوتاس » وأبيه « بارمينيون » وأخيه فى الرضاعة « كليتوس » لا يؤكد أنه كان شخصاً لا أمان ولا عهد ولا وفاء له ، شخص غادر أنانى مندفع متهور ؟

أعتقد أن معرفة سيرة الإسكندر ، ومواقفه ، وسلوكه الشخصى كفيلة بأن تجعلنا نقطع جزماً بأنه ليس الرجل الصالح ، المذكور فى القرآن بذى القرنين ، وكان يجب على كل من ذهب إلى أنه الإسكندر الأكبر أن يراجع كتب التاريخ ويعرف من خلالها سيرة الإسكندر جيداً .

* * *

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ـ هـ . ج ـ ولز ـ جـ ٢ ـ ص ٤٢٠ – ٤٤٦ .

صفات ذي القرنين لا تنطبق على كورش الفارسي :

قيل إن ذا القرنين هو « كورش » الفارسى الذى أسس الامبراطورية الفارسية وجمع بين مملكتى فارس ومادى وغزا مملكة بابل وأخضعها لحكمه ، وأذن لليهود بالرجوع من بابل إلى أورشليم بعد أن دمر « نبوخذ نصر » ملك بابل مملكتهم وأخذهم سبايا فى بابل ، استمر ذلك لمدة سبعين عاماً ، كما ساعد اليهود فى إعادة بناء الهيكل الذى دمره « نبوخذ نصر » وغزا آسيا الصغرى واليونانيين فغلبهم ثم سار إلى أقاصى المعمورة فى المشرق .

وقد أكد بعض المحققين الهنود أمثال « سر أحمد خان الهندى » و « أبو الكلام أزاد » أن وصف ذى القرنين المذكور فى القرآن منطبق تماماً على هذا الملك العظيم ، فقد كان مؤمناً بالله يدين بالتوحيد ، عادلاً فى رعيته ، وسائراً بالرأفة والرفق والإحسان ، سائساً لأهل الظلم والعدوان ، وقد آتاه الله من كل شىء سبباً ، فجمع بين الدين والعقل وفضائل الأخلاق والعدة والقوة والثروة والشوكة ومطاوعة الأسباب .

كما قال الشيخ عبد الجليل عيسى أن قورش هو ذو القرنين على الأرجح .

وقد ساق « أبو الكلام أزاد » مجموعة من الأدلة التى تثبت من وجهة نظره أن كورش الفارسى هو ذو القرنين المذكور فى القرآن ، نلخصها فى الآتى[1] :

١ - بالنسبة لإيمانه بالله واليوم الآخر فيستدل عليه مما فى كتب العهد القديم ككتاب عزرا (الإصحاح الأول) وكتاب دانيال (الإصحاح السادس) وكتاب إشعياء (الإصحاح ٤٤ ، ٤٥) فقد خلدته هذه الكتب وقدسته فسمى فى كتاب أشعيا « راعى الرب » ، وذُكر فى الإصحاح الخامس والأربعين ما يلى :

« هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق . أنا أسير قدامك والهضاب

(١) نقلاً عن الميزان فى تفسير القرآن ـ العلامة سيد محمد حسين الطباطبائى : جـ ١٣ .

أمهد أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف . وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابى ، لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك . لقبتك وأنت لست تعرفنى » .

٢ - إن النقوش والكتابات المخطوطة بالخط المسمارى المأثور عن داريوس الكبير ، وبينهما من الفاصل الزمانى ثمانى سنين ، ناطقة بكونه موحداً غير مشرك وليس من المعقول أن يتغير ما كان عليه كورش فى هذا الزمن القصير .

٣ - من فضائله النفسية ما قابل به الطغاة والجبابرة الذين خرجوا عليه أو حاربهم كملوك « ماد » و « ليديا » ومصر وطغاة البدو فى أطراف « بكتريا » و هو « البلخ » وغيرهم ، وكان كلما ظهر على قوم عفا عن مجرميهم ، وأكرم كريمهم ، ورحم ضعيفهم ، وساس مفسدهم وخائنهم .

٤ - إنه نجّى اليهود من الأسر فى بابل وأرجعهم إلى بلادهم وبذل لهم الأموال لتجديد بناء الهيكل وردّ إليهم نفائس الهيكل المنهوبة المخزونة فى خزائن ملوك بابل ؛ لذا فاليهود يحترمونه ويقدسونه ، وهذا دليل آخر على أنه ذو القرنين لأن الذى سأل النبى ﷺ عنه كانوا اليهود ، وبالقطع كان ذلك بناء على ما عندهم من روايات .

٥ - إن مؤرخى اليونان القدماء كهيرودوت وغيره ذكروه فلم يسعهم إلا أن يصفوه بالمروءة والفتوة والسماحة والكرم والصفح وقلة الحرص ، والرحمة والرأفة ، وقد أثنوا عليه بأحسن الثناء .

٦ - عندما اكتشف تمثاله الحجرى فى « مشهد مرغاب » جنوب إيران وجد فى رأس التمثال قرنان نابتان من منبت واحد ، وأحد القرنين مائل للأمام والآخر للخلف ، وهذا قريب من قول من قال من القدماء أن سبب تسميته بذى القرنين أنه كان له خوذة أو تاج فيه قرنان وهذا يدل على أنه ذو القرنين .

٧ - ورد فى كتاب (دانيال) رؤيا رأى فيها دانيال « كورش » فى صورة كبش ذى قرنين قال عنه :

« فى السنة الثالثة من مُلْك « بيلشاصر » الملك ظهرت لى أنا دانيال رؤيا بعد التى

ظهرت لى فى الابتداء ، فرأيت فى الرؤيا . وكان فى رؤياى وأنا فى « شوشن » القصر الذى فى ولاية عيلام ، ورأيت فى الرؤيا وأنا عند نهر « أولاى » فرفعت عينى وإذا بكبش واقف عند النهر ، وله قرنان ، والقرنان عاليان : الواحد أعلى من الآخر والأعلى طالع أخيراً . رأيت الكبش ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً ، فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده وفعل كمرضاته وعظم .

وبينما كنت متأملاً إذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض ولم يمسّ الأرض ، وللتيس قرن معتبر بين عينيه ، وجاء إلى الكبش صاحب القرنين الذى رأيته واقفاً عند النهر وركض إليه بشدة قوته ، ورأيته قد وصل إلى جانب الكبش ؛ فاستشاط عليه ، وضرب الكبش وكسر قرنيه ، فلم تكن للكبش قوة على الوقوف أمامه وطرحه على الأرض وداسه ، ولم يكن للكبش منقذ من يده . فتعظم تيس المعز جداً » .

ثم ذكر بعد تمام الرؤيا أن جبرائيل تراءى له ، وعبر رؤياه بأن الكبش ذا القرنين هو كورش الفارسى ، وقرناه مملكتا فارس وماد ، والتيس ذو القرن الواحد هو الإسكندر المقدونى .

وهذا يدل على أن ذا القرنين هو كورش .

٨ - أن كورش اتجه نحو المغرب والمشرق ، فسيّره نحو المغرب كان لدفع طاغية « ليديا » عندما سار بجيوشه نحو كورش ظلماً وطغياناً من غير أى عذر يجوز له ذلك ، فسار إليه كورش وحاربه وهزمه ، ثم تعقبه حتى حاصره فى عاصمة ملكه ، ثم فتحها وأسره ، ثم عفا عنه وعن سائر أعضاده ، وأكرمه وإياهم وأحسن إليهم ، وكان له أن يسوسهم ويبيدهم وبهذا ينطبق عليه قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ .

[الكهف : ٨٦]

وذلك لاستحقاقهم العذاب بطغيانهم وظلمهم وفسادهم .

ثم إنه سار نحو الصحراء الكبرى بالمشرق حول « بكتريا » لإخماد غائلة قبائل بدوية همجية انتهضوا هناك للمهاجمة والفساد وبذلك انطبق عليه قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ . [الكهف : ٩٠]

٩ – أما عن بناء السد : فإن هذا السد يقع فى مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر إلى البحر الأســود ويسمى المضيق « داريال » وهو واقع بين « تفليس » و « ولادى كيوكز » .

وهذا السد واقع فى مضيق بين جبلين شاهقين يمتدان على جانبيه وهذا السد يحجز جنوب آسيا عن شمالها حيث كان يهجم فى تلك الأزمان أقوام أشرار من قاطنى الشمال الشرقى من آسيا من مضيق جبال قفقاز على القبائل القاطنة فى الجنوب ، فيغيرون على ما دونها من أرمينستان ، ثم إيران حتى آشور وكلدة ، وهجموا فى القرن السابع قبل الميلاد ، فعمّوا البلاد قتلاً وسبياً ونهباً حتى بلغوا نينوى عاصمة آشور ، وكان ذلك فى القرن السابق على عهد كورش تقريباً .

وقد ذكر المؤرخون من القدماء كهيرودوت اليونانى سير « كورش » إلى شمال إيران ، لإخماد فتن اشتعلت هناك ، والظاهر أنه بنى السد فى مضيق داريال فى مسيره هذا ، لاستدعاء من أهل الشمال وتظلم منهم ، وقد بناه بالحديد وهو الردم الوحيد الذى استعمل فيه الحديد ، وهو بين سدين وجبلين ، وبهذا يتطبق عليه قوله تعالى :

﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ .

[الكهف : ٩٥ ، ٩٦]

ثم قال « أبو الكلام أزاد » أن هذا السد غير سد « باب الأبواب » الموجود على ساحل بحر الخزر فسد باب الأبواب كما يذكر التاريخ بناه « كسرى أنو شروان » كما أن سد باب الأبواب مبنى من الحجارة وليس فيه حديد قط . أما سد مضيق داريال فهو مبنى من الحديد .

وإلى هنا انتهت حجج « أبو الكلام أزاد » فيما ذهب إليه من أن كورش الفارسى هو ذو القرنين [١] .

أما الأسباب التى تجعل ذا القرنين ليس هو كورش الفارسى ، فهى :

١ - أن كورش كان مجوسياً كافراً ، ولم يكن مؤمناً موحداً ، ولا يوجد بالتوراة أو كتب التاريخ ما يشير إلى أنه كان موحداً ، أما سبب تخليد وتقديس اليهود له وإطلاق اسم المسيح عليه ، فيرجع إلى كرمه معهم عندما أصدر لهم أمراً بالعودة إلى أرضهم وساعدهم فى إعادة بناء الهيكل ـ الذى دمره لهم « نبوخذ نصر » ملك بابل عندما غزا أرضهم - ورد إليهم ما سلبه البابليون من أموالهم وحليهم .

ومدحه والثناء عليه وإطلاق اسم مسيح الرب عليه بسفر إشعيا لم يتلفظ به أشعيا النبى، وليس وحياً من الله إليه فى شأن هذا الملك ؛ لأن هذا النص يتضح لمن يقرأ السفر أنه نص أضافه كاتب السفر ، فسفر إشعيا وباقى أسفار التوراة والإنجيل لم يكتبها الأنبياء المنسوب إليهم هذه الأسفار وإنما كتبها أشخاص مجهولون قصُّوا فيها بعض ما كان يوحى إلى هؤلاء الأنبياء وأدرجوا فيها سيرتهم الذاتية وبعض نبوءاتهم ومآثرهم وما حدث لليهود من أحداث خلال الفترة من موت هذا النبى إلى العصر الذى كان يعيش فيه كاتب السفر .

كما أن كاتب السفر كان يضيف إلى السفر بعض الأحداث المعاصرة له والخاصة ببنى إسرائيل والتى يتضح من التواريخ المدونة عنها فى كتبهم أنها كانت أحداثاً لاحقة للزمن الذى كان يعيش فيه النبى صاحب السفر .

وفى الغالب كانت هذه الأسفار تكتب من وجهة نظر كاتب السفر وتقديراته الشخصية ، حتى وصل به الأمر إلى إضافة نصوص على أقوال النبى بما يوحى بأن قائلها هو النبى المنسوب له السفر ، وأحياناً أخرى كان يقوم بحذف نصوص من أقوال النبى بما يخدم الفكرة أو الاعتقاد الذى يسيطر عليه فى هذا الزمن .

---

(١) نقلاً عن الميزان فى تفسير القرآن ـ مرجع سابق .

وأهل الكتاب يعترفون بذلك ، فمن أقوالهم فى هذا الشأن ما اعترف به مفسروهم عند تعريفهم بأسفار كتابهم المقدس وشخصيات كاتبيها .

ففى كتاب « المدخل إلى الكتاب المقدس » ـ ترجمة التوراة للكاثوليك ، يقول الكتاب عن كتبة الأسفار ما يلى :

« ... أسفار الكتاب المقدس هى عمل مؤلفين ومحررين عرفوا بأنهم لسان حال الله فى وسط شعبهم ، ظل عدد كبير منهم مجهولاً ... معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة ، وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب وهى تحمل آثار ردود فعل القراء فى شكل تنقيحات وتعليقات وحتى فى شكل إعادة صياغة بعض النصوص ... لا ، بل أحدث الأسفار ما هى إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة »[1] .

وتقول الترجمة العربية للكتاب المقدس للكاثوليك عن سفر إشعيا :

« يعتبر هذا السفر كتاباً بدأه النبى إشعيا ثم أكمله مؤلفون آخرون لم تعرف شخصياتهم ؛ فبقى يحمل اسم إشعيا فقط »[2] .

ويؤكد قولنا من أن النص الخاص بمدح كورش والثناء عليه وتسميته بمسيح الرب ليس وحياً من الله لإشعيا كتبه إشعيا بنفسه (مثل بعض النصوص الأخرى الواردة بالسفر والتى يتضح منها أنها وحى من الله لإشعيا) وأنه نص مضاف من أحد كتبة السفر فى زمان كورش : أن السفر احتوى على نبوءات أخرى عن المسيح عيسى ابن مريم ؛ لأنها تنطبق عليه ونبوءات أخرى عن سيدنا محمد ﷺ ؛ لأن الأوصاف والأعمال الواردة بالسفر تنطبق عليه وعلى أمته ، ولأن هذا النبى تنبأ إشعيا بأنه من أبناء تبايوت وقيدار ، وهما الابنان البكر من أبناء إسماعيل ولم يأت نبى من أبناء إسماعيل سوى محمد ﷺ وليس هنا مجال الحديث عن هذا الموضوع .

---

(١) اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ـ لواء / أحمد عبد الوهاب ـ ص ٦٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٤ .

فما دام السفر محتوياً على نبوءات عن عيسى عليه السلام ، ومحمد ﷺ ، وكورش باعتباره مسيحاً آخر ، كما يدعى كاتب السفر ، فلماذا سمى وحدّد اسم كورش فى السفر ولم يتم تحديد اسم عيسى ومحمد ﷺ عند الحديث عنهما ، إذا كان قائل النبوءات الثلاثة هو إشعيا النبى ؟

مما سبق يتضح أن هذا النص أضافه أحد كتبة السفر الذين عاصروا وعاينوا وشاهدوا كورش وأعماله أو أحد الكتبة اللاحقين لزمانه والذين وصلت إليهم أخباره ، وصنائعه مع اليهود .

٢ – ذو القرنين كان يجول فى الأرض ؛ ليقيم العدل ، ويدعو للتوحيد ، ولم يرد فى التوراة أو كتب التاريخ أن كورش كان يفعل ذلك ، بل كانت حروبه طبقاً لما ورد بكتب التاريخ لصد هجمات الدول المجاورة له كحربه مع ملك ليديا (تركيا حالياً) أو لقمع حركات المتمردين فى الدول الخاضعة لامبراطوريته كحروبه فى بكتريا (بلخ) ومكران وبلوخستان .

٣ – أن الكبش ذا القرنين المذكور فى رؤيا « دانيال » لم يحدد الملك (جبريل) له فى نهاية رؤياه أن هذا الكبش هو كورش بل قال إنه رمز لملوك مادى وفارس بقوله :

« أما الكبش الذى رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادى وفارس والتيس العافى ملك اليونان ... » . (دانيال ٨/٢٠-٢١)

وذلك لأن الكبش ذا القرنين كان رمزاً للفرس وكانوا يضعونه على أعلامهم وعندما غزا كورش ملك الفرس مملكة مادى ، ووحّد المملكتين فى مملكة واحدة ظل الكبش ذا القرنين شعار الفرس كما هو رمزاً للمملكتين بعد توحيدهما [(١)] .

وعندما غزا الإسكندر الأكبر مملكة فارس كان ملك الفرس فى ذلك الوقت « دارا » وانتصر عليه الإسكندر الأكبر فى موقعة « إسوس » فى نوفمبر سنة ٣٣٣ ق.م وكان ذلك بعد موت كورش بحوالى مائتى سنة إذ توفى كورش عام ٥٢٩ ق . م .

---

(١) راجع تفسير دانيال – إيرنسايد – الإصحاح الثامن – ص ٩٠ .

وعلى ذلك فلو حملنا الكبش ذا القرنين على أنه أحد ملوك الفرس فلن يكون كورش ولكن « دارا » وكانت نهاية « دارا » كما يصورها دانيال فى رؤياه نهاية مخزية مهينة .

وفيما يلى نص نبوءة دانيال فى رؤياه عن نهاية مملكة الفرس على يد الإسكندر الأكبر عندما كان « دارا » ملكاً لها :

« وبينما كنت متأملاً إذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض ... وجاء إلى الكبش صاحب القرنين ... وضرب الكبش وكسر قرنيه فلم تكن للكبش قوة الوقوف أمامه وطرحه على الأرض وداسه . ولم يكن للكبش منقذ من يده » .

(دانيال ٨ / ٥ – ٧)

ومما سبق يتضح أن الكبش ذا القرنين ليس رمزاً لكورش وحده وإنما رمز لمملكة وملوك مادى وفارس بعد توحيدهما ، وأن الرؤيا ليس فيها أى إشارة لكورش وحتى لو كان فيها إشارة له فليس بها ما يدل على أنه ذو القرنين المذكور فى القرآن .

٤ – لم يرد فى التوراة أو كتب التاريخ أن كورش بنى سد يأجوج ومأجوج كما أن السد الذى ذكره « أبو الكلام أزاد » الواقع عند مضيق جبل قفقاز ببلدة تفليس (تبليسى حالياً) لم يبنه كورش كما أن المحقق الهندى لم يأت بأى دليل من التاريخ على أن كورش هو بانيه بل قال إن كورش سار إلى شمال إيران ؛ لإخماد فتن اشتعلت هناك والظاهر أنه بنى السد فى مسيره هذا ، فهل مجرد ذهاب كورش إلى هذه المنطقة يدل على أنه هو صاحب هذا السد وبانيه ؟

كما أن السد الذى ذكره قال إنه مبنى من الحديد وسد ذى القرنين كما قال القرآن مبنى من الحديد والنحاس المذاب كما أن سد ذى القرنين لا يقع فى هذه المنطقة بل يقع فى شمال شرق آسيا بالقرب من مدينة « ترمذ » فى عمالة « بلخ » واسمه « سد باب الحديد » ومبنى من الحديد والنحاس المذاب ومبنى بين جبلين طبقاً للوصف الذى وصف به فى القرآن ، وستوضح موقع هذا

السد على الخرائط القديمة التى حددت موقعه وموضع يأجوج ومأجوج عند الكلام عنه .

٥ – ذكر المحقق الهندى « أبو الكلام أزاد » أن كورش اتجه نحو المغرب والمشرق وبالتالى فهو ذو القرنين لأن ذا القرنين اتجه شرقاً وغرباً لكن المحققين لتاريخ كورش أكدوا أنه لم يتجه إلى الشرق . تذكر منهم « إير نسايد » عند تفسيره لسفر دانيال فقد قال ما نصه :

« ... فإن جيوش كورش لم تتجه إلى الشرق للتغلب على القبائل البربرية فى المشرق ولكنها زحفت نحو البحر المتوسط والبحر الأسود والخليج العربى وواصلت انتصاراتها حتى أخضعت آسيا الصغرى ومصر كلها »[(١)] .

كما أن كورش لم يتجه إلى أقاصى الغرب عند مضيق جبل طارق والمحيط الأطلنطى ، وأقصى ما وصل إليه منطقة آسيا الصغرى (تركيا) وعلى ذلك فكورش لا تنطبق عليه أوصاف ذى القرنين الذى اتجه غرباً وشرقاً وشمالاً ، كما يؤكد معظم المحققين .

٦ – إن تمثال كورش الذى وُجد برأسه خوذة عليها قرنان ليس دليلاً على أنه ذو القرنين لأن هناك الكثير من الملوك كانوا يرتدون خوذات عليها قرنان .

كما أن سبب تسمية ذى القرنين بهذا الاسم ورد فيها الكثير من الآراء ، كان هذا الرأى أحدها ، ولكنه لم يكن أرجح الآراء .

أعتقد الآن أننا قدمنا من الأدلة ما فيه الكفاية بما ينفى أن يكون كورش الفارسي هو ذا القرنين ، ولم أقصد مما شرحته مهاجمة العلامة « أبو الكلام أزاد » فقد كان هذا اجتهاداً منه وإن أخطأ فله أجره عند الله على هذا الاجتهاد وله الشكر على ما بذله من جهد فى هذا الموضوع فمثله مثل من اجتهد فى إثبات أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر وثبت عدم صحة ذلك أيضاً .

---

(١) تفسير دانيال ـ إيرنسايد ـ الإصحاح الثامن ـ ص ٩٠ .

ولا يسعني إلا أن أقول للجميع : جزاكم الله كل خير وما قصدت التعريض والذم وإنما قصدت وضع الأمور في نصابها الصحيح ؛ حتى لا تختلط المفاهيم ويشوه التاريخ وتضيع الحقائق وينسب العمل إلى من هو ليس أهلاً له وليس صاحبه .

آراء أخرى في ذي القرنين :

قال البعض : إن السد المذكور في القرآن هو سور الصين العظيم وهو حائط طويل بين الصين ومنغوليا بناه « شين هوانك تي » أحد ملوك الصين ؛ لصد هجمات المغول عن الصين ، وطوله ثلاثة آلاف كيلو متر وعرضه تسعة أمتار وارتفاعه خمسة عشر متراً ، وقد بني بالأحجار ، وشرع في بنائه سنة ٢٦٤ ق . م ، وتم بناؤه في عشر أو عشرين سنة .

وعلى ذلك فأصحاب هذا الرأي يرون أن هذا الملك هو ذو القرنين أو بمعنى أدق إننا إذا سلمنا بذلك فلا بد أن نسلم بأن هذا الملك هو ذو القرنين .

لكن أوصاف ذي القرنين وسده لا تنطبق على هذا الملك ، فسد ذي القرنين مبني من الحديد والنحاس المذاب ، بين جبلين ، أما سور الصين فمبني من الحجارة ، وليس بين جبلين ، وطوله ثلاثة كيلو مترات ، كما أن هذا الملك لم يذكر أنه سار من أرضه إلى المغرب الأقصى ، أو أنه كان مؤمناً موحداً ، بل كان كافراً وثنياً .

وقيل في « روح المعاني » : إن ذا القرنين هو « فريدون بن أثفيان بن جمشيد » خامس ملوك الفرس الفيشدادية ، وكان ملكاً عادلاً مطيعاً لله تعالى .

وفي كتاب « صور الأقاليم » لأبي زيد البلخي قيل : إن هذا الملك كان مؤيداً بالوحي وفي عامة التواريخ أنه ملك الأرض وقسمها بين بنيه الثلاثة : إيرج ، وسلم ، وتور ، فأعطى إيرج العراق والهند والحجاز وجعله صاحب التاج ، وأعطى سلم الروم وديار مصر والمغرب ، وأعطى تور الصين والترك والمشرق ، ووضع لكلٍّ قانوناً يحكم به ،

وسميت القوانين الثلاثة « سياسة » وهي تعريب « سي أيسا » أي : ثلاثة قوانين .

ووجه تسميته « ذو القرنين » أنه ملك طرفي الدنيا وعمر فيها ، فإنها كانت على ما في « روضة الصفا » خمسمائة سنة » .. انتهى .

ولكن هذا الكلام لا يعترف به المؤرخون أو كتب التاريخ [١] .

وقيل أيضاً : إن ذا القرنين كان عربيـــاً ، وأنه ملك من ملوك حِمْيَر باليمن .. ذكر ذلك الأصـمعي « في تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام » ، وابن هشـــام في « الســيرة » و « التيجـان » ، وأبو الريحـان البيروني في « الآثار الباقيـة عن القرون الخالية » .

أكثر من دليل يثبت أن ذا القرنين كان أحد ملوك اليمن :

ذهب كثير من المفسرين والمؤرخين والعلماء إلى أن ذا القرنين كان ملكاً من ملوك اليمن السابقين ، وأكد بعضهم أنه كان من ملوك اليمن الحميريين .

وأكد فريق آخر أن ذا القرنين كان معاصراً لسيدنا إبراهيم عليه السلام .

فقال ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » جـ ٦ كتاب الأنبياء ـ باب قصة يأجوج ومأجوج :

« والذي يدل على تقدم ذي القرنين ما روى الفاكهي من طريق عبيد بن عمير ، أحد كبار التابعين : « أن ذا القرنين حج ماشياً فسمع به إبراهيم فتلقاه » وما رواه عطاء عن ابن عباس : « أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على إبراهيم وصافحه » وما رواه عثمان بن ساج : « إن ذا القرنين سأل إبراهيم أن يدعو له فقال : كيف وقد أفسدتم بئري ؟ يعني بئر زمزم .. فقال : لم يكن ذلك عن أمري ، يعني أن بعض الجند فعل ذلك بغير إذني » .

(١) الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي ـ جـ ١٣ ـ ص ٣٨٢ .

وذكر ابن هشام فى « التيجان » : « أن إبراهيم تحاكم إلى ذى القرنين فى شىء فحكم له » .

وروى ابن أبى حاتم من طريق على بن أحمد : « أن ذا القرنين قدم مكة ، فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا : نحن عبدان مأموران فقال : من يشهد لكما ، فقامت خمسة أكبش فشهدت ، فقال : قد صدقتم » قال : وأظن الأكبش المذكورة حجارة ويحتمل أن تكون غنماً .

ثم قال ابن حجر : فهذه الآثار يشد بعضها بعضاً وتدل على قدم عهد « ذى القرنين » .. انتهى كلام ابن حجر .

ولو سلمنا بأن ذا القرنين كان فى زمن إبراهيم فهذا ينفى أن يكون من الحميريين لأن زمن إبراهيم عليه السلام كان حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، والحميريون حكموا خلال الفترة من ١١٥ ق . م — ٥٢٥ ميلادية .

وذكر الأصمعى فى « تاريخ العرب قبل الإسلام » ، وابن هشام فى « السيرة » و « التيجان » وأبو الريحان البيرونى فى « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، ونشوان بن سعيد الحميرى فى « شمس العلوم » جميعهم قالوا : إن ذا القرنين أحد التبابعة الأذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن .

ولكنهم اختلفوا فى اسمه ، فالبعض قال : اسمه « مصعب بن عبد الله » ، وقيل : « صعب بن ذى المرائد » وهو أول التبابعة ، وهو الذى حكم لإبراهيم فى بئر السبع ، وقيل : « تبع بن الأقرن واسمه حسان » ، وذكر الأصمعى أنه « أسعد الكامل » الرابع من التبابعة بن حسان الأقرن ، ملكى كرب تبع الثانى ابن الملك تبع الأول ، وقيل : اسمه « شمر يرعش » .

وقال المقريزى فى « الخطط » : « اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز عربى قد كثر ذكره فى أشعار العرب ، وأن اسمه « الصعب بن ذى مرائد » بن « الحارث الرائش » بن « الهمال ذى سدد » ابن « عاد ذى منح » بن « عار الملطاط » بن « سكسك » بن « وائل » بن « حمير »

ابن « سبأ » بن « يشجب » بن « يعرب » بن « قحطان » بن « هود » بن « عابر » ابن « شالح » بن « أرفخشد » بن « سام » بن « » نوح » عليه السلام .

وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العارية [١] وكان ذو القرنين تبعاً متوجاً ، ولما ولى الملك تجبر ، ثم تواضـــع لله ، واجتمع بالخضـــر .

وقد غلط من ظـــن أن الإسكندر بن فليبس هـــو ذو القرنين الذى بنى السد ، فإن لفظة (ذو) عربية ، وذو القرنين من ألقـاب العرب ملوك اليمن ، وذاك رومى يونانى » [٢] . انتهى كلام « المقريزى » .

وقال أبو الريحـان البيرونى المنجـــم فى كتابه « الآثار الباقيـة عن القرون الخالية » ما ملخصه :

« إن ذا القرنين المذكور فى القرآن كان من حِمْيَر ، ودليل ذلك اسمه ، فملوك حمير كانوا يلقبـون بذى مثل : ذى نواس ، وذى يزن ، وأن اسمه كان « أبو كلين ابن أفريقيش » وأنه رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط ، فمر بتونس ومراكش وغيرهما ، وبنى مدينة إفريقية فسميت القارة كلها باسمه ، وسمى ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قرنى الشمس » .

وقال العلامة السيد « هبة الدين الشهرستانى » :

« إن ذا القرنين المذكور فى القرآن قبل الإسكندر المقدونى بمئات من السنين فليس هو الإسكندر ، بل هو أحد الملوك الصالحين من التبابعة الأذواء ، من ملوك اليمن ، وكانوا يلقبون بذى ، كذى همدان ، وذى غمدان ، وذى المنار ، وذى الأذعار ، وذى يزن وغيرهم . وكان مسلماً موحداً وعادلاً حسن الســيرة ، وقوياً ذا هيبة وشـوكة ، سار فى جيش كثيف نحو الغرب فوجد الشمس تغيب فى عين حمئة (أو حامية) .

---

(١) العرب العارية هم العرب قبل إسماعيل ، وأما العرب المستعربة فهم أبناء إسماعيل – عليه السلام .

(٢) نقلاً عن الميزان فى تفسير القرآن ـ الطباطبائى : ص ٣٨٦ .

ثم رجع سائراً نحو المشرق وبنى فى مسيره « أفريقية » وكان شديد الولع وذا خبرة فى البناء والعمارة ، ولم يزل يسير حتى مر بشبه جزيرة وبرارى آسيا الوسطى ، وبلغ تركستان وحائط الصين ، ووجد هناك قوماً لم يجعل الله لهم من دون الشمس ستراً .

ثم مال إلى الجانب الشمالى حتى بلغ مدار السرطان ولعله الذى شاع فى الألسن أنه دخل الظلمات فسأله أهل تلك البلاد أن يبنى لهم سداً يصد عنهم يأجوج ومأجوج؛ لأن اليمنيين ـ وذو القرنين منهم ـ كانوا معروفين ببناء السدود والخبرة فى ذلك ، فبنى لهم السد »[1] .

وقال الأستاذ محمد رضا فى كتابه « تاريخ الإنسانية وأبطالها » :

« والحقيقة أن ذا القرنين هو عربى حميرى وليس هو الإسكندر الأكبر المقدونى للأسباب التالية :

١ – أن الأذواء يمنية وهىَ من ألقاب ملوك اليمن .

٢ – أن ذا القرنين اسمه الصعب بن مرثد اليمنى .

٣ – أنه سار فى مشارق الأرض ومغاربها ومكن الله له فى الأرض .

وقال الشيخ طنطاوى جوهرى فى « تفسير الجواهر » جـ ٩ ما ملخصه :

فى لغة اليـمن القـديمة ، فإن لفظة « ذو » كانت تعنى « صـاحب » فيقال : ذو القصر ، أى : صاحب القصر ، وذو غمدان ، أى : صاحب غمدان ، وذو معين ، أى : صاحب معين .

وهى ألقاب تقابل ألقاب « بك » و « باشا » فى بلادنا المصرية ، وكان يطلق على هذه الطبقة الأذواء أو الذويين ، وهى تقابل فى بلادنا المصرية « الذوات » ومعناها الأغنياء الممتازون .

وكان الملوك والتبابعة فى اليمن يخرجون من هؤلاء الأذواء .

---

(١) نقلاً عن الميزان فى تفسير القرآن ـ مصدر سابق ـ ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

فلقب « ذى » لُقِّبَ به كثير من ملوك اليمن ، ولا تجد في غيرهم – كملوك الروم مثلاً – من يلقب « بذى » . فذو القرنين من ملوك اليمن ، وقد تقدم من ملوكهم من يسمى بذى القرنين ، ولكنه كان قريب العهد منا جداً ، وذو القرنين المذكور في القرآن خلافه وأقدم منه .

وسئل ابن عباس عن ذى القرنين : ممن كان ؟ فقال : « من حِمْيَر ، وهو « الصعب بن ذى مرائد » الذى مكنه الله في الأرض ، وآتاه من كل شيء سبباً ، فبلغ قرني الشمس ، ورأس الأرض وبنى السد على يأجوج ومأجوج ... » .

وسئل كعب الأحبار عن ذى القرنين فقال : الصحيح عندنا من أحبارنا وأسلافنا أنه من حمير وأنه الصعب بن ذى مرائد » .

وقد ورد ذكر ذى القرنين في أشعار الحِمْيَريين ، حيث كانوا يفتخرون بأنه منهم، كما وقع ذكره في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم .

وقال المقريزى في « الخطط » :

قال « الهمداني » في كتاب « الأنساب » : « وولد كهلان بن سبأ زيداً فولد زيد عريباً ومالكاً وغالباً وعميكرب ، وقال الهيثم : عميكرب بن سبأ أخو حمير وكهلان ، فولد عميكرب أبا مالك فدرحا ، ومهيليل ابنى عميكرب ، وولد غالب جنادة بن غالب ، وقد ملك بعد مهيليل بن عميكرب بن سبأ ، وولد عريب عمراً ، فولد عمرو زيداً والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو « ذو القرنين » الأول وهو المسّاح والبناء .

وفيه يقول النعمان بن بشير :

فَمَنْ ذَا يعادونا من النّاسِ مَعْشَراً   كِراماً فَذُو القَرْنين مِنّا وَحَاتِم

وفيه يقول الحارثى :

سَمُّوا لَنَا وَاحِداً مِنكُمْ فَنَعرِفُهُ   في الجاهلية لاسم المُلْكِ مُحْتَمِلا

كالتُّبَّعينَ ، وذى القرنينِ يقبلُهُ   أهلُ الحِجَى ، فأحقُّ القولِ ما قُبِلا

وقال فيه ابن أبي ذئب الخزاعي :

وَمِنَّا الذي بالخافقين تَغَرَّبَا ... واصْعَدَ في كل البلاد وصوَّبا

فقد نال قرنَ الشمسِ شَرقاً ومغرباً ... وفى رَدْمِ يأجوج ومأجوج بنى ثم نصَّبا

وذلك ذو القرنين تفخر حمير ... بعسكر قيل ليس يُحصى فيُحسَبا

قال الهمداني : وعلماء همدان تقول : ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الأعلى بن ربيعة بن الحيار بن مالك ، وفى ذى القرنين أقاويل كثيرة » .

انتهى كلام المقريزى(١) .

وذكر في البداية والنهاية : أنشد ابن هشام للأعشى :

والصعبُ ذو القرنينِ أصبحَ ثاوياً ... بالجنوِ في جَدَثٍ أشمَّ مقيما

وأنشد عثمان بن أبي الحاضر لابن عباس قول بعض الحميريين :

قد كان ذو القرنين جدِّى مسلماً ... ملكاً تدينُ له الملوكُ وتحشُدِ

بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغى ... أسبابَ أمرٍ من حكيمٍ مُرشِدِ

فرأى مغيبَ الشمسِ عند غروبها ... في عين ذى خلبٍ وثاط حرمدِ

ويعترض الأستاذ عبد الرحمن يوسف العبد ـ في كتابه « ذو القرنين » على رأى الأستاذ سيد قطب بأن ذا القرنين هو أبو كرب عمرو بن أفريقش أحد ملوك اليمن الحميريين بقوله :

« ... ويرى نفس الرأى مفكر حديث هو الأستاذ الشهير سيد قطب ويقول : إن ذا القرنين كان أحد ملوك الحميريين في اليمن وأن اسمه « أبو كرب عمرو بن أفريقش ، وأنه فتح تونس والشمال الأفريقي ، فأطلق اسم أفريقيا على هذه المنطقة من العالم ، ثم أطلق الاسم بعد ذلك على القارة كلها . ويرفض سيد قطب ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر المقدوني بحجة أنه رجل وثني

(١) نقلاً عن الميزان في تفسير القرآن ـ مصدر سابق ـ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

يحمل فكر وفلسفة اليونان الوثنية . ورأى سيد قطب عن أفريقش والإسكندر الأكبر كلاهما خاطىء ، فحسب الخريطة الزمنية لتاريخ اليمن قبل الإسلام نجد أنه قد تعاقب على حكم اليمن منذ فجر تاريخها وحتى ظهور الإسلام ثلاث دول هى :

١ - دولة معين من ١٣٠٠ - ٦٥٠ ق . م .

٢ - دولة سبأ من ٦٥٠ - ١١٥ ق . م .

٣ - دولة حمير من ١١٥ ق.م - ظهور الإسلام سنة ٦٠٠ ميلادية .

ودولة الحميريين التى قال سيد قطب أن ذا القرنين أحد ملوكها قد حكمت فى الفترة من ١١٥ ق . م حتى ظهور الإسلام ، وفى نفس الفترة كانت مصر تحت حكم البطالمة حيث حكم البطالمة مصر من سنة ٣٢٣ ق . م . حتى سنة ٣٠ ق . م . ثم من بعدهم الرومان .

ولم يثبت أن ملكاً عربياً أو غير عربى قد احتل مصر فى هذه الفترة ، ونعلم تماماً أن أى جيش آسيوى يتجه إلى منطقة جبل طارق حيث تغرب الشمس فى عين حمئة لا بد أن يجتاز مصر ، وما دامت مصر لم تتعرض للغزو خلال هذه الفترة ، فذو القرنين ليس ملكاً من اليمن .

كما أن أى ملك عربى لا يمكن أن يصل إلى منطقة جبل طارق إلا إذا غزا مصر ومنها يواصل زحفه إلى المغرب الأقصى ولم يحدثنا التاريخ أن مصر تعرضت لغزو عربى خلال تلك الفترة ، أو قبلها بقرون عديدة ، سوى أيام الهكسوس ، وهم من العرب البائدة ، ولم يصلوا إلى منطقة جبل طارق عن طريق مصر لأنهم فشلوا فى إخضاع مصر كلها لسلطانهم .

ولا يجوز أن يقول قائل : إذا كان ذو القرنين من اليمن فليس من الضرورى أن يصل إلى منطقة جبل طارق عن طريق سيناء فى مصر ، بل من الممكن لأى ملك يمنى أن يعبر مضيق باب المندب إلى شرق أفريقيا ويخترق عرض القارة الإفريقية من منطقة القرن الأفريقى عبر الأحراش والأدغال إلى نهر السنغال على ساحل أفريقيا الغربى ، ثم إلى جبل طارق ؛ لأن المتتبع للغزوات الكبرى فى التاريخ يجد أنها تستهدف

مناطق العمران ، وتسلك طرق القوافل المعروفة ولا تغوص بالجيوش وسط المفاوز والأحراش .

أما بالنسبة لحظ الملك اليمنى من الإيمان والتوحيد فالمعروف أن الأديان السماوية اليهودية والمسيحية لم تدخل اليمن إلا قبيل ظهور الإسلام ، وكان العالم كله تحت ضوء التاريخ الواضح ، ولو ظهر ملك يمنى بهذه الشهرة لكان معروفاً لنا تماماً .

ومن هنا نستطيع أن نقطع بأن ذا القرنين لم يكن من اليمن » .

إلى هذا الرأى انتهى الأستاذ عبد الرحمن العبد ولكننا نعقب على رأيه بالآتى :

١ – لو سلمنا جدلاً أن ذا القرنين ليس من الحميريين فهذا لا ينفى أن يكون من اليمن ؛ لأن ملوك اليمن لم يقتصروا على الحميريين فقط ، فهناك ممالك يمنية أقدم مما ذكره سيادته لم تصلنا أخبارها حتى الآن بسبب قلة البعثات الاستكشافية الأثرية فى منطقة اليمن والجزيرة العربية وبالتالى فهناك آثار ما زالت مدفونة تحت الرمال لم تكتشف بعد وعند اكتشافها سنعرف المزيد عن ملوك اليمن الأقدمين ، فالحضارة اليمنية من أقدم الحضارات التاريخية ، وقد اعترف سيادته فى موضع آخر من كتابه بذلك ، فقال :

« إن شعوب العراق كالآشوريين ، والبابليين ، والذين وجدوا قبل المسيح بقرون عديدة هم فى الأصل شعوب عربية هاجرت من اليمن طبقاً لما كشفت عنه الآثار التى عثر عليها وفيها تشابه كبير فى أسـمـاء الملوك والديانات واللغة بين البابليين والآشوريين من ناحيـة واليمنيين من ناحيـة أخرى ، حتى أطلق البعض على اليمن « معمل البشرية » فمنه خرجت الهجرات البشرية التى عمرت العراق والشام ، ولا شك أن مثل هذه الهجرات قد دخلت فى صراع مع شعوب العراق الأقدمين كالسومريين والأكاديين ... » .

والمعروف تاريخياً أن العماليق أو الهكسوس كانوا من العرب البائدة الذين أطلق عليهم المؤرخون اسم « الملوك الرعاة » أو البدو الآسيويين أو الشاسو وهم أبناء عم عاد وثمود ، وهؤلاء يعود تاريخهم إلى حوالى ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد ، ومعروف أنهم غزوا جميع أنحاء المشرق والمغرب والشمال ؛ فما الذى يمنع أن يكون ذو القرنين أحد

ملوكهم ، خاصة وأن الجزيرة العربية والشام كانت مهبط جميع الأنبياء والرسالات ، فهم أول من عرفوا التوحيد والإيمان .

كما أن هناك روايات قالت : إن ذا القرنين كان معاصراً لإبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم كان قبل الميلاد بحوالى ٢٠٠٠ عام ، ولو صحت هذه الأخبار فمعنى ذلك أن ذا القرنين كان من العرب البائدة وليس من الحميريين ، وجميع العرب البائدة يرجع أصلهم إلى أهل اليمن ، ولا نعرف عن تاريخهم شيئاً ؛ لأن آثارهم لم تكتشف بعد .

٢ - إن هناك غزوات حدثت فى القرون الماضية من أهل اليمن أو لنقل من العرب البائدة لمنطقة أفريقيا والسواحل الأفريقية فقد جاء فى كتاب « أفريقيا من جوبا إلى نهر السنغال » ، أن باحثة سويسرية أثبتت أن السكان فى العروض الأفريقية ومناطق الأحراش والأدغال وساحل أفريقيا الغربى من أصل يمنى .

فإن لم يكن اليمنيون قد غزوا هذه المناطق عبر مضيق باب المندب فكيف وصل هؤلاء السكان - الذين يرجع أصل نشأتهم لليمن - إلى هذه المناطق إن لم يكونوا من مخلفات جيش كبير من الجيوش التى كانت تغزو هذه المناطق .

أما قوله بأن الغزوات الكبرى تستهدف مناطق العمران وتسلك طرق القوافل المعروفة ، ولا تغوص بالجيوش وسط المفاوز والأحراش ، فهو قول مردود لأن معظم مناطق أفريقيا مناطق مفاوز وأحراش وأدغال ، وقائد أى جيش يسلك أقرب الطرق التى توصله إلى المكان الذى يريد غزوه ، أيا كانت طبيعة هذا المكان ، أو لأن هناك ظروفاً معينة تحتم عليه أن يسلك هذا الطريق ؛ لأنه الآمن والأسلم ، فقد تكون طرق القوافل المعروفة مسيطر عليها من دول أخرى وسيكلفه ذلك خسائر كبيرة فى جيشه لو حاول الدخول مع هذه الدول فى صدام لكى يعبر من خلال الطرق التى يسيطرون عليها ، أو قد يسلك طرق الأدغال والأحراش لأنها أقرب الطرق للبلاد التى يريد الوصول إليها ، وما دمنا لا نعرف من هو القائد الذى سلك هذه الطرق ، وما هى الجهة التى كان يريد الوصول إليها فلا يمكن أن نحكم على الطريقة التى سلك بها طريقاً معيناً .

المهم أن وجود سكان من أصل يمنى فى هذه المناطق يدل على وصول اليمنيين

إلى إفريقيا وسواحل المحيط الأطلنطى الشرقية (مغرب الشمس عند مضيق جبل طارق) فى العصور القديمة .

يضاف إلى ما سبق أن مناطق مغرب الشمس لا تقتصر على السواحل الأفريقية الغربية عند مضيق جبل طارق بل تنطبق أيضاً على السواحل الأوربية الغربية عند مضيق جبل طارق وشمال شرق المحيط الأطلنطى فإذا غزا قائد يمنى دول غرب أوربا ثم اتجه إلى شواطئها المطلة على الجانب الشرقى من المحيط الأطلنطى فسيكون قد وصل أيضاً إلى مغرب الشمس ، وهو هنا ليس فى حاجة إلى المرور على مصر ليصل إلى مغرب الشمس ، فيمكنه الوصول إليها عن طريق شمال أفريقيا أو غرب أوربا .

أيضاً يمكن لمن يريد الوصول إلى تونس والمغرب إذا وصل إلى أوربا أن يعبر البحر المتوسط ويهبط إليهما عبره وفى هذه الحالة لن يمر على مصر أيضاً . هذا بخلاف الوصول إليهما عن طريق جنوب غرب إفريقيا إذا كان قادماً من اليمن وذلك بعد عبوره للبحر الأحمر عبر مضيق باب المندب .

والخلاصة أن هناك أكثر من طريق للوصول إلى مناطق مغرب الشمس دون المرور على مصر .

مما سبق يتضح أن اليمنيين أو العرب البائدة سبق وأن غزوا بلاد المشرق وبلاد المغرب والشمال ، أو بمعنى أدق سبق وأن غزوا العالم كله ، وأنهم من أكثر الأمم التى حظيت بأكبر عدد من الأنبياء ، وبالتالى كان يحكمهم خلال أزمنة معينة ملوك ، على دين أنبيائهم ، موحدون مؤمنون .

ولا شك أن ذا القرنين كان أحد هؤلاء الملوك ، إن لم يكن نبياً من الأنبياء الذين أرسلوا إليهم ، وأن ذا القرنين فى الغالب من العرب البائدة ، وليس العرب المستعربة وهم الطبقة الجديدة التى سكنت الجزيرة العربية بعد أن عمرها إبراهيم عليه السلام وأبناؤه .

وهو إما كان معاصراً لسيدنا إبراهيم ، كما أكدت ذلك بعض الروايات ، أو أنه كان أقدم منه . ومن الجـائز ــ والله أعلم ــ أن يكون لاحقاً لزمانه أيضاً ، فليس هناك

ما يمنع أن يكون من الحميريين ، لأن هذا احتمال جائز أيضاً ، طبقاً لما أكدته بعض الروايات الأخرى .

وأحب أن أضيف إلى ما سبق ملاحظة أخيرة تؤكد أيضاً أن ذا القرنين من العرب البائدة الذين كانوا يسكنون فى جنوب الجزيرة العربية . فقد ورد فى القرآن ما يشير إلى ذلك .

فقد صور الله سبحانه وتعالى مشهد رؤية ذى القرنين للشمس وهى تغرب فى عين حمئة ، وكأنه يشاهد هذا المشهد ، لأول مرة ، مما يدل على أنه لم يكن من سكان المناطق التى كانت تغيب الشمس من ناحيتها .

وعندما ذهب إلى دول مشرق الشمس صور الله سبحانه وتعالى رؤيته للقوم الذين لم يجعل الله سبحانه وتعالى لهم من دون الشمس ستراً ، وكأنه يشاهد هذا المشهد أيضاً لأول مرة مما يدل على أنه لم يكن على علم بأحوال تلك البلاد ، وطبيعتها الجغرافية ، وطبائع أهلها ؛ لذا قال سبحانه وتعالى بعد ذلك : ﴿ **وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً** ﴾ [الكهف : ٩١] ، أى : بزيارته لهذه المنطقة زادت معلوماته عما كانت عليه من قبل وهذا يفيد أنه لم يكن من سكان مشرق الشمس .

وعندما اتجه شمالاً وجد قوماً لم يفهموا لغته ، ولم يفهم لغتهم ، ثم استنجدوا به من يأجوج ومأجوج ، وهذا يدل على أنه لم يكن من أهل الشمال لذلك كان صعباً عليه وعليهم فهم ما يقول ، أو ما يقولونه له ؛ فلغة التفاهم كانت صعبة تماماً بينهما .

وما سبق يدل على أن ذا القرنين لم يكن من أهل الشمال ، أو أهل غرب أوربا أو شمال إفريقيا (دول مغرب الشمس) أو أهل مشرق الشمس (دول شرق وجنوب شرق آسيا) ، فمن أين يكون ؟

فى ذلك الزمن لم تكن الأمريكتان قد تم اكتشافهما بعد حيث اكتشفهما كريستوفر كولومبس سنة ١٤٩٢ م ، ولم تكن أستراليا قد اكتشفت بعد ، إذ

اكتشفها الكابتن كوك سنة ١٧٦٩ م ، ومجاهل إفريقيا اكتشفت فى أواخر القرن التاسع عشر [١] .

والعالم القديم لم يكن به امبراطوريات عظمى خرج منها قادة أو زعماء غزوا المشـــرق أو المغرب أو الشـــمال أو العالم كله سوى امبراطوريات الدول التى فى شمال إفريقيا وجنوب غرب آسيا ، وشرق وشمال آسيا ، وجنوب أوربا ومنطقة آسيا الصغرى .

وكانت آسيا الصغرى وغرب آسيا وجنوب غرب آسيا هى مناطق مهبط الأنبياء والرسالات ، وبالتحديد فى فلسطين ، وشبه الجزيرة العربية .

أما مناطق شـمال إفريقيا وشرق وشمال شرق آسيا وجنوبها ، ومنطقة أوربا بأكملها ، فمعظمها كانت أمماً وثنية كافرة .

وسبق أن قلنا أن ذا القرنين ليس من أهل مغرب الشمس ، ولا من أهل مشرق الشمس ، ولا من أهل الشمال ، فلا يتبقى سوى أن يكون من جنوب شرق أوربا ، وهؤلاء كانوا وثنيين ومنهم الإسكندر الأكبر ، أو يكون من جنوب إفريقيا ، وهذه لم تكتشف إلا حديثاً ، كما أن من كان يعيش فيها فى الماضى كانوا شعوباً بدائية لم يخرج منهم زعماء أو قادة أو امبراطوريات غزت العالم كله ، أو أثرت فيه ، ولم يخرج منهم امبراطوريات لها حضارة أثرت فى التاريخ .

لذا لا يتبقى إلا أن يكون من جنوب غرب آسيا ، وهى شبه الجزيرة العربية التى تقع اليمن فى نطاقها ، وهم العرب البائدة ، أو العمالقة أو الهكسوس الذين غزوا العالم كله ، وكانوا أولى الحضارات التى أثرت فى المشرق والمغرب وكانوا مهبط الوحى ، وأرض الرسالات والكتب السماوية .

وكان قبلهم فى هذه الأرض عاد وثمود ، وكانوا يمثلون امبراطوريات عظمى أيضاً فى زمانهم .

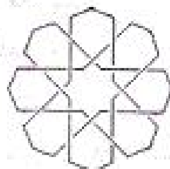
---

(١) ذو القرنين ـ عبد الرحمن يوسف العبد : ص ٤٠ (دار البشير ـ القاهرة) .

وهذا ، بالإضافة إلى ما سبق يشير - إنْ لم يكن يؤكد - أن ذا القرنين كان من أهل الجزيرة العربية ، أو بالتحديد من أهل اليمن ، كما أكدت ذلك بعض الروايات .

أما ما هو اسمه أو نسبه ، أو الزمن الذى كان يعيش فيه ؟ فهذا لن يهمنا فى شيء والبحث فى هذا الموضوع لن ينفعنا كثيراً ، فما دام القرآن قد صمت عن ذكر اسمه أو زمانه ، فلا حاجة لنا فى البحث فيما صمت عنه القرآن ؛ لأن الحكمة من ذكره فى القرآن هى العبرة والموعظة وليس معرفة من هو .

وقد أردنا من محاولات التعرف على جنسيته وشخصيته بقدر الإمكان من خلال عرضنا السابق ، لا أن نصل إلى من هو ؛ ولكن لنضع الأمور فى نصابها ، ونصل إلى الحقيقة قدر المستطاع ؛ حتى لا ننسب صفة ذى القرنين إلى شخصٍ وثنى كافر كالإسكندر أو كورش الفارسى ، أو غيرهم ، وحتى لا يشوه التاريخ وتزيف الحقائق وتنسب الأعمال والفضائل إلى غير أهلها .



كيف بنى ذو القرنين سد يأجوج ومأجوج ؟ :

بعد أن طاف ذو القرنين ببلاد الغرب والشرق استمر فى ترحاله إلى أن وصل للشمال (كما أكد ذلك معظم المفسرين) ووصل إلى الجبلين اللذين تقع وراءهما بلاد يأجوج ومأجوج وهناك وجد قوماً فى غاية الشقاء والبؤس ؛ بسبب الغارات التى يشنها عليهم يأجوج ومأجوج بين الحين والحين ، فطلبوا منه أن يقيم لهم سداً بين الجبلين ؛ يمنعهم من شر يأجوج ومأجوج ، وعرضوا عليه أن يجمعوا له مالاً مقابل ذلك ، فقال لهم : ما مكننى فيه ربى خير من خراجكم (أى : ما آتانى الله من مال وسلطان وجاه وقوة وعلم يغنينى عن الحاجة لهذا الخراج) وطلب منهم أن يعينوه بقوة ليجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج ردماً حاجزاً .

يقول النيسابورى فى كتاب « قصص الأنبياء » :

« قالوا : وما تلك القوة ؟

قال : فَعَلَة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة .

قالوا : وما تلك الآلة ؟

قال : آتونى زبر الحديد (أى : قطعاً منه) ، وآتونى النحاس .

فقالوا : من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل ؟

قال : سأدلكم على معادنهما .

قالوا : فبأى قوة تقطع الحديد والنحاس .

فاستخرج لهم معـدناً يقال له « الساهون » ، وهو أشد ما خلق الله فى الأرض بياضاً ، وهو الذى قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره .

ثم إنه قاس ما بين الجبلين ، ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار ، وصنع منها زبراً ، مثل الصخور العمام ، ثم أذاب النحاس ، فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التى من الحديد .

وكان ما بين الجبلين مائة فرسخ ، فحفر له الأساسين حتى بلغ الماء ، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً ، ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ، ثم نسج

الحطب على الحديد ، فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين ، وهما الجبلان ، ثم أمر بالنار فأرسلت فيه . قال : انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه ، وهو النحاس المذاب ، فجعل النار تأكل الحطب ويصير النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته ؛ فصار سداً طويلاً عظيماً حصيناً ؛ فلم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ، ولم يستطيعوا أن ينقبوه » .

مما سبق نستنتج أن ذا القرنين استخدم بدلاً من الحجارة قطع الحديد وبدلاً من الإسمنت ؛ قطع الحطب ، والنحاس المذاب ، وكان يضع طبقة من الحديد فوقها طبقة من الحطب والنحاس ، ثم يشعل النار فى الحطب ، فيبدأ النحاس فى الذوبان ، فيصب عليه نحاساً آخر مذاباً فيملأ النحاس المذاب الفراغات الموجودة بين الحديد ، وبين الحديد والنحاس ؛ فيلتصق بعضهما ببعض ، ثم يضع طبقة فوق هذه الدرجة من الحديد ، وفوقها حطب ونحاس ، ثم يشعل فيه النار ، ويصب عليهما النحاس المذاب فيمتلئ ما بينهما ، وهكذا طبقة فوق طبقة حتى أكمل بناء السد ، ليصبح فى النهاية سداً من الحديد الملتحم ببعضه بالنحاس المذاب .

وروى عمن شاهد هذا السد أن هذا السد يوجد فى منتصفه باب من الحديد وعليه قفل كبير .

وفيما يلى رسم تقريبى يوضح شكل السد بعد إتمام بنائه طبقاً لرواية سلام الترجمان الذى شاهد السد والتى سنقصها بعد قليل .



قال قتادة : قال رجل للنبى ﷺ : رأيت السد مثل البرد المحبر (الثوب المنمق) .
(رواه البخارى) .

وفى رواية لابن جرير أن رجلاً قال : يا نبى الله ، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال : « انعته لى » قال : كالبرد المحبر ، طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له : « قد رأيته » .

موقع سد ذى القرنين على خريطة العالم :

اختلف العلماء فى تحديد موقع السد الذى بناه ذو القرنين فبعض المؤرخين يؤكد أن يأجوج ومأجوج كانوا يسكنون قريباً من خط عرض (٩٠) من جهة الشمال وأن جبليهم هما جبلا أرمينية وأذربيجان ، وأن سد ذى القرنين هو سد « باب الأبواب » المشهور [١] ، ولكن هذا السد مبنى بالحجارة ولا ينطبق عليه أوصاف سد ذى القرنين ، كما أن بانيه هو كسرى « أنو شروان » .

والبعض ذهب إلى أنه سور الصين العظيم الواقع بين الصين ومنغوليا وهذا مستبعد لأسباب سبق شرحها .

وفريق آخر قال : إنه سد باب الحديد الواقع فى عمالة « بلخ » بالقرب من مدينة « ترمذ » وهو سد مبنى من الحديد والنحاس المذاب .

وذهب آخرون إلى أنه سد مضيق داريال بأرمينيا وهو سد مبنى من الحديد فقط .

قال الشيخ طنطاوى جوهرى ، فى « تفسير الجواهر » : جـ ٩ « تفسير سورة الكهف » : « ... قد علم الروس أن مدينة « دربت » بجبل قوقاف [٢] هى نفسها مدينة باب الأبواب ، وكشفوا فى القرن الماضى سوراً منيعاً ممتداً على مقربة منها ، كأنه خط انفصال ، وقد خلط كثير من الكتبة سد مدينة « باب الأبواب » بالسد الشهير

---

(١) نقلاً عن التفسير الوسيط – مجمع البحوث الإسلامية – تفسير سورة الكهف .

(٢) هو جبل قوقاز .

حتى إن أبا الفداء نفسه لم ينج من هذه العثرة ، لكن الإدريسى أبان موقع كل منهما بجلاء واتضح من مقابلة المصنفات العربية وجوب وقوع السد الشهير وراء « جيحون » فى عمالة « بلخ » ، واسمه « سد باب الحديد » بمقربة من مدينة « ترمذ » ، وقد اجتازه « تيمور لنك » بجيشه ، ودعا مؤرخه « شرف الدين » اسم المحل « خلوجه » ومر به أيضاً « شاه روح » ، وكان فى خدمته ومن بطانته الألمانى « سيلد برجر » ، وذكر السد فى كتابه وذلك فى أوائل القرن الخامس عشر ، وكذلك ذكره الإسبانى « كلافيجو » فى رحلته سنة ١٤٠٣ م ، وكان رسولاً من ملك كستيل (قشتالة) بالأندلس إلى « تيمور لنك » فقال :

« إن سد مدينة باب الحديد على الطريق الموصل بين سمرقند والهند » هذا ملخص من « المقتطف » سنة ١٨٨٨ م وبه نعلم أن السد موجود فعلاً » .. انتهى كلام الشيخ طنطاوى جوهرى .

وقال « أبو الكلام أزاد » : إن السد يقع فى مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر إلى البحر الأسود ، وهو واقع بين بلدة « تفليس » و « ولادى كيوكز » وهو مبنى بين جبلين ، ومبنى بالحديد .

وقد ذكر هذا السد « يوسف » اليهودى المؤرخ عند ذكر رحلته إلى شمال قفقاز ، وهو غير سد باب الأبواب الموجود على ساحل بحر الخزر فإن التاريخ ينسب بناءه إلى كسرى أنو شروان ، ويوسف هذا كان قبله (كان يعيش فى القرن الأول الميلادى) ، كما أن سد باب الأبواب لم يستعمل فيه حديد قط »[1] .

ولكن هذا السد طبقاً لما ذكره « أبو الكلام أزاد » لم يستعمل فيه النحاس نهائياً ، بل استخدم فيه الحديد فقط ، وبهذا فهو مخالف لسد ذى القرنين .

وبناء على ما سبق لا يبقى سد ينطبق عليه أوصاف سد ذى القرنين سوى « سد باب الحديد » الموجود فى عمالة « بلخ » بالقرب من مدينة « ترمذ » ببلاد التركستان ، فهو السد الوحيد المبنى من حديد مع نحاس مذاب .

وقد بعث الواثق بالله سلام الترجمان لمعاينة هذا السد ووصفه له ، فأتاه بخبره ،

---

(١) نقلاً عن الميزان فى تفسير القرآن ـ مصدر سابق .

وحدد له موقعه ، وفيما يلى تفاصيل ما رواه سلام الترجمان وقد ذكر هذه القصة « النيسابورى » فى كتاب « قصص الأنبياء » ، وياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » ، وابن كثير فى « البداية والنهاية » وسنذكر ما قاله النيسابورى وياقوت الحموى فى سد يأجوج ومأجوج :

« ومن مشهور الأخبار حديث سلام الترجمان قال :

« إن الواثق بالله ، أمير المؤمنين ، رأى فى المنام أن السد الذى بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج مفتوح فأفزعه ذلك ؛ فأحضرنى وأمرنى بقصده والنظر إليه ، والرجوع إليه بالخبر ، وضم إلىّ خمسين رجلاً ووصلنى بخمسة آلاف دينار ، وأعطانى دينى عشرة آلاف درهم ومائتى بغل تحمل الزاد والماء .

قال : فخرجنا من « سر من رأى » (١) بكتاب منه إلى « إسحاق بن إسماعيل » صاحب « أرمينية » وهو « بتفليس » (٢) يؤمر فيه بإنفاذنا وقضاء حوائجنا ومكاتبة الملوك الذين فى طريقنا بتيسيرنا .

فلما وصلنا قضى حوائجنا ، وكتب إلى صاحب « السرير » (٣) ، وكتب صاحب السرير إلى ملك اللان (٤) ، وكتب ملك اللان إلى « فيلانشاه » ، وكتب لنا « فيلانشاه » إلى ملك « الخزر » ، فوجه ملك الخزر معنا خمسة من الأدلاء ، فسرنا ستة وعشرين يوماً ، فوصلنا إلى أرض سوداء منتنة ، فحملنا معنا خلاً ؛ لنشمه من رائحتها بإشارة من الأدلاء ، فسرنا عشرة أيام (فى رواية النيسابورى تسعة وعشرين يوما) .

ثم صرنا إلى مدن خراب ، فسرنا سبعة وعشرين يوماً (فى رواية النيسابورى عشرين يوماً) ، فسألنا الأدلاء عن سبب خراب تلك المدن فقالوا : قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها .

ثم صرنا إلى حصن بالقرب من الجبل الذى السد فى شعب منه ، فجزنا بشىء يسير إلى حصون أخر فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية وهم مسلمون يقرءون القرآن ولهم مساجد وكتاتيب ، فسألونا من أين أقبلتم وأين تريدون ؟

(١) ويقال لها مدينة سرّاء وتقع بالعراق ، وهى مدينة سامراء حالياً .

(٢) تبليسى حالياً .

(٣) مملكة بين اللان وباب الأبواب .

(٤) بلاد واسعة طرف أرمينية بالقرب من باب الأبواب مجاورة للخزر .

فأخبرناهم أنا رسل أمير المؤمنين فأقبلوا يتعجبون من قولنا ويقولون : أمير المؤمنين ؟ أهو شيخ أم شاب ؟ وأين يكون ؟ ..

قلنا : بالعراق . في مدينة يقال لها « سر من رأى » .

قالوا : ما سمعنا بهذا .

ثم ساروا معنا إلى جبل أملس ليس عليه من النبات شيء وإذا هو مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً [1] وإذا عضادتان [2] مبنيتان مما يلي الجبل من جنبي الوادي عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعاً ، الظاهر تحتها عشرة أذرع خارج الباب ، وكله مبني بلبن حديد مغيب في نحاس ، في سمك خمسين ذراعاً ، وإذا دروند (وتد) حديد طرفاه في العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً ، قد ركب على العضادتين ، وعلو كل منهما مقدار عشرة أذرع ، في عرض خمسة أذرع وفوق الدروند (الوتد) بناء بذلك اللبن الحديد والنحاس وإلى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف [3] حديد في طرف كل شرفة قرنان ينثني كل واحد إلى صاحبه ، وإذا باب حديد بمصراعين مغلقين ، عرض كل مصراع ستون ذراعاً في ارتفاع سبعين ذراعاً في ثخن (سمك) خمسة أذرع وقائمتاهما في دوارة على قدر الدروند .

وعلى الباب قفل نحو خمسة أذرع في غلظ باع ، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشـــرون ذراعاً ، وفوق القفل نحو خمســة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل ، وعلى الغلق مفتاح معلق طـوله سـبعة أذرع (في رواية النيسـابوري طوله ذراع) ، له أربع عشـرة دنداكة أكبر من دستج الهاون ، معلق في سـلسلة طولها ثمانية أذرع من استدارة أربعة أشبار والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق وارتفاع عتبة الباب عشرة أذرع في بسط مائة ذراع ، سوى ما تحت العضادتين ، والظاهر منها خمسة أذرع .

---

(١) الذراع = ٦٤ سم .
(٢) العضادة : الجانب المثبت عليه الشيء .
(٣) شرف : ما يوضع من البناء في أعلاه ليحلى به البناء .

وهذا الدرع كله بذراع السواد ، ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة فى عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا فى الباب حدثاً فإذا ضربوا صغوا إليه آذانهم فيسمعون من داخله دوياً .

وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ فى مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة فى عشرة ومع الباب حصنان ، طول كل واحد منهما مائتا ذراع فى مائتى ذراع ، وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب ، وفى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد ، وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ ، واللبنة ذراع ونصف فى عرض شبر .

وسألنا : هل وراء ذلك أحد من أهل يأجوج ومأجوج ، فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف ، فهبت ريح سوداء ؛ فألقتهم إلى جانبهم ، وكان مقدار الرجل فى رأى العين شبراً ونصفاً (غالباً يقصدون رؤيتهم وهم فوق الشرف) .

قال : فلما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء على نواحى خراسان ، فعدلنا إليها فوقعنا إلى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ ، وكان أصحاب الحصن قد زودونا بالطعام .

ثم سرنا إلى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معى بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل رجل ثلاثة دراهم كل يوم ، حتى صرنا إلى « الرى » [١] ورجعنا إلى « سر من رأى » وكان بين خروجنا من « سر من رأى » إلى رجوعنا إليها ثمانية عشر شهراً ، (وفى رواية النيسابورى ثمانية وعشرين شهراً) » .. انتهت رواية سلام الترجمان .

هذه رواية شاهد عيان للسد . ولتحديد موقع السد على خريطة العالم يلزمنا التعرف على طريق الذهاب وطريق العودة الذى سلكه سلام الترجمان وأصحابه ، أو بمعنى أدق ، معرفة خط سيره خلال هذه الرحلة .

---

(١) تقع داخل إيران حالياً بين بحر قزوين وأصفهان .

ومما سبق نستنتج الآتى :

عندما ذهب سلام الترجمان إلى سد يأجوج ومأجوج خرج من « سر من رأى » بالعراق ثم ذهب إلى « أرمينية » ، وهى تقع شمال العراق ، ثم سار إلى « السرير » ، ثم « اللان » ، وهما مملكتان تقعان شمال شرق أرمينيا ، ثم دخل « بلاد الخزر » ، وهى تقع بين بحر الخزر (بحر قزوين حالياً » و « البحر الأسود » شمال تركيا ، وهى تقع حالياً جنوب غرب الاتحاد السوفييتى ، ثم سار من هذه الأراضى مسيرة ٦٣ يوماً حسب رواية ياقوت الحموى (٢٦ يوماً + ١٠ أيام + ٢٧ يوماً) ، ثم سار عدة أيام أخرى لم يحدد عددها .

وفى رواية « النيسابورى » سار ٧٤ يوماً (٢٥ يوماً + ٢٩ يوماً + ٢٠ يوماً) ولم يحدد « سلام الترجمان » اتجاه سيره خلال هذه الأيام بعد مغادرته لأرض الخزر . هل كان باتجاه الجنوب أم الشرق أم الشمال ؟

ولا شك أنه قطع خلال هذه الأيام مسافة لا تقل عن ٧٠٠ كيلو متر من بلاد الخزر ، فلو فرضنا أنه وأصحابه كانوا يقطعون ببغالهم حوالى ٢٥ كم يومياً ، فسيقطع خلال ستين يوماً ١٥٠٠ كم هذا على أقل تقدير ولكن نظراً إلى أنهم كانوا يمشون ويستريحون ، ويجولون بالمدن التى يمرون عليها ، ويستفسرون عن أحوال أهلها ، ويستفسر أهلها عن موطنهم وأخبارهم افترضنا أنهم ساروا مسافة لا تقل عن ٧٠٠ كم .

المهم هو معرفة الاتجاه الذى ساروا فيه ؟

والإجابة عن هذا السؤال يمكن تحديدها إذا عرفنا الطريق الذى سلكه عند عودته من موقع السد إلى العراق .

فقد أفاد سلام الترجمان بعد وصوله إلى السد ومعاينته أن الأدلاء أخذوا بهم إلى نواحى « خراسان » على بعد سبعة فراسخ [1] (٣٣,٦ كم) من « سمرقند » ، وهى تقع جنوب شرق بحر الخزر وشمال مدينة « ترمذ » و « باب الحديد »

(١) الفرسخ = ٣ أميال ، والميل = ١,٦ كم ، أى : أن الفرسخ = ٤,٨ كم .

و « بلخ » ، ثم اتجهوا منها إلى « الرَّىّ » ، وهى تقع بإيران حـالياً ، ثم اتجهوا منها إلى « سر من رأى » داخل العراق .

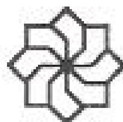
ومعنى ذلك أن النقطة التى بدءوا من عندها خط سير العودة والتى يقع السد عندها كانت بالقرب من « سمرقند » و « خراسان » ، ولا يوجد فى هذه المنطقة سوى سد « باب الحديد » الواقع بين « سمرقند » و « ترمذ » ، الواقعتين جنوب الاتحاد السوفيتى سابقاً فى بلاد الترك التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى ثم استقلت عنها وهى (تركمانستان وأوزبكستان وتداجكستان وكازاكستان) .

وما سبق يدل على أن سلام الترجمان وأصحابه اتجهوا من بلاد الخزر بعد أن وصلوا إليها إلى جنوب شرق بحر قزوين .

وهذا يؤكد أن السد الذى شاهدوه هو سد باب الحديد المصنوع من الحديد والنحاس ، والواقع بين سمرقند وترمذ ، والذى أكد بعض المفسرين والمؤرخين أنه هو سد ذى القرنين .

وهذا يؤكد أيضـاً أن سـد ذى القرنين ليس سـد « باب الأبواب » الواقع بأرمينيا ، أو السـد الواقع بـين بلدة « تفليس » و « ولادى كيوكز » والذى ذكره « أبو الكلام أزاد » وهو سد مضيق داريال .

والخريطة التالية توضح على سبيل التقريب خط السير الذى سلكه سلام الترجمان وأصحابه للوصول إلى السد .



خريطة تقريبية توضح الطريق الذى سلكه سلام الترجمان
عند ذهابه لسد ذى القرنين وعند عودته منه

الخريطة توضح موقع سد باب الحديد الواقع بالقرب من مدينتي ترمذ وسمرقند

(١) الخريطة نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام - خريطة ٦٤ .

الفصل الثالث

الخرائط الجغرافية القديمة تحدد موقع بلاد يأجوج ومأجوج :

ظن البعض أن السد الذى بناه ذو القرنين حجز بين قوم يأجوج ومأجوج وبين العالم حتى وصل الأمر بالبعض إلى القول بأن السد حجزهم عن الدنيا وكأنه سجن أو حجرة مغلقة عزلتهم عن الدنيا ، وهذا اعتقاد خاطئ فالسد بنى بين جبلين يمتد طولهما إلى مئات الكيلومترات وكانت الفتحة بين الجبلين ، والتى بنى ذو القرنين السد عندها ـ هى الفتحة الوحيدة بين هذين الجبلين ، وبالتالى فالسد لم يحجز يأجوج ومأجوج عن العالم وإنما حجز فقط شرهم عن القوم الذين طلبوا من ذى القرنين بناء السد لهم ، فمما لا شك فيه أن يأجوج ومأجوج كان لهم طرق أخرى خلاف الفتحة التى بين الجبلين يستطيعون من خلالها الاتصال بالأمم التى كانت مجاورة لبلادهم .

والآن نريد تحديد موقع بلاد يأجوج ومأجوج وموقع السد على الخرائط التاريخية القديمة :

إذا رجعنا إلى الأطالس القديمة التى يعود تاريخها لحوالى ١٠٠٠ عام لابن حوقل ، والإدريسى ، والقزوينى ، والمستوفى ، والجيهانى ، والصفاقسى ، سنجد أن هؤلاء الجغرافيين حدّدوا موقع سد ذى القرنين وموقع بلاد يأجوج ومأجوج فى الخرائط التى رسموها للكرة الأرضية .

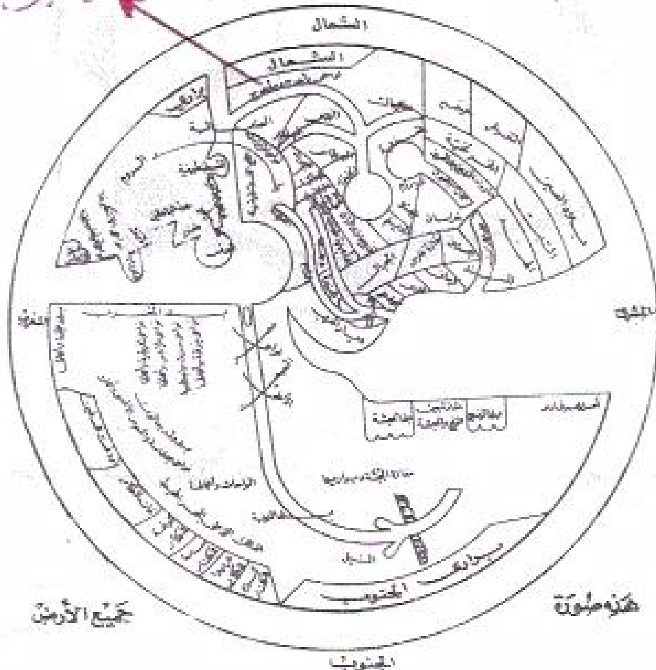
وقد حدد بعضهم موقع السد وموقع بلاد يأجوج ومأجوج فى شمال الكرة الأرضية (شمال آسيا) .

والبعض الآخر حدد موقع السد شمال شرق الكرة الأرضية وكذلك موقع يأجوج ومأجوج (أى : شمال شرق آسيا) .

ومن هذه الخرائط نستنتج أن يأجوج ومأجوج كانوا يقطنون منطقة شرق ، وشمال ، وشمال شرق آسيا ؛ لأنهم كانوا يغيرون على الأمم المجاورة لهم ويتزاوجون منهم ، فتختلط الأنساب فيما بينهم ، فمرة يصبح تمركزهم في منطقة شرق آسيا ، ومرة يتمركزون في منطقة شمال آسيا ، ومرة أخرى يتمركزون في شمال شرق آسيا ، وفي بعض الأحيان كانت امبراطوريتهم تحتل كل منطقة شرق ، وشمال ، وشمال شرق آسيا ، فمواقعهم كانت تتوقف على المناطق التي يحتلونها ويمدون سلطانهم إليها ، وكل جغرافي من جغرافيي العرب كان يحدد موقعهم في خرائطه طبقاً للمناطق التي يمتد إليها سلطانهم في زمانه .

وفيما يلي عينة من بعض هذه الخرائط :

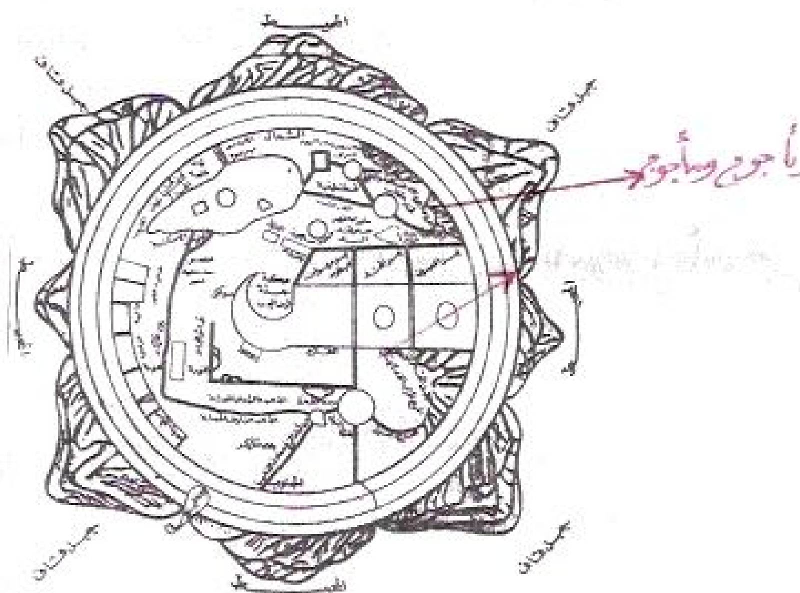
خريطة العالم لابن حوقل (٣٦٧ هـ - ٩٧٧ م) (١)



(١) أطلس تاريخ الإسلام ـ د. حسين مؤنس ـ خريطة ٨ .

ويتضح من هذه الخريطة أن « ابن حوقل » حدد موقع يأجوج ومأجوج بشمال الكرة الأرضية (شمال آسيا) ببلاد الروس (الاتحاد السوفيتى) .

خريطة العالم للقزوينى (٦٠٠ - ٦٨٢ هـ) ـ (١٢٠٣ - ١٢٨٣ م) [١]



ويلاحظ أن « القزوينى » حدد فى الخريطة السابقة موقع بلاد يأجوج ومأجوج شمال شرق الكرة الأرضية (شمال شرق آسيا) ، وبالتحديد شمال الصين وأرض الترك ، وشمال شرق بلاد ما وراء النهر وسمرقند وشرق القسطنطينية (تركيا حالياً) .

والمنطقة المحددة لبلاد يأجوج ومأجوج على الخريطة هى : الاتحاد السوفيتى (سابقاً) ومنغوليا بشمال الصين .

---

(١) أطلس تاريخ الإسلام ـ د .حسين مؤنس : خريطة ١٦ .

صورة للأرض

للشريف الإدريسي المتوفى (٥٦٠ هـ - ١١٦٤ م)[١]



ويلاحظ من الخريطة السابقة أن « الإدريسي » حدد موقع يأجوج ومأجوج شمال شرق الكرة الأرضية (شمال شرق آسيا) شرق التركش وهم إحدى القبائل التركية . وشمال شرق بحر الخزر (بحر قزوين حالياً) وهذه المنطقة تقع شرق روسيا وبمنطقة منغوليا شمال الصين حالياً .

---

(١) أطلس تاريخ الإسلام - د. حسين مؤنس ، خريطة ١٨

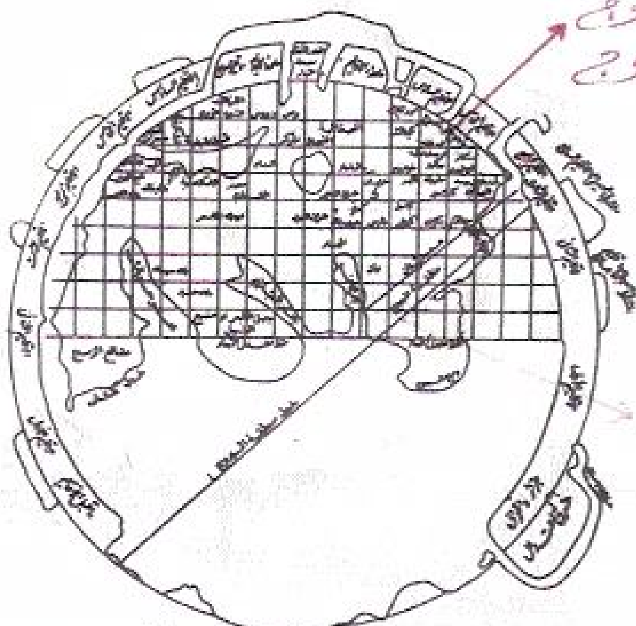
خريطة العالم للجيهانى (القرن العاشر الميلادى) [١]



ويلاحظ أن « الجيهانى » حدد موقع بلاد يأجوج ومأجوج شمال الصين وشمال شرق بلاد ما وراء النهر ، وهى منطقة بلاد منغوليا حالياً ، وتقع جنوب شرق الاتحاد السوفييتي وشمال الصين .

(١) المصدر السابق ـ خريطة ٢١ .

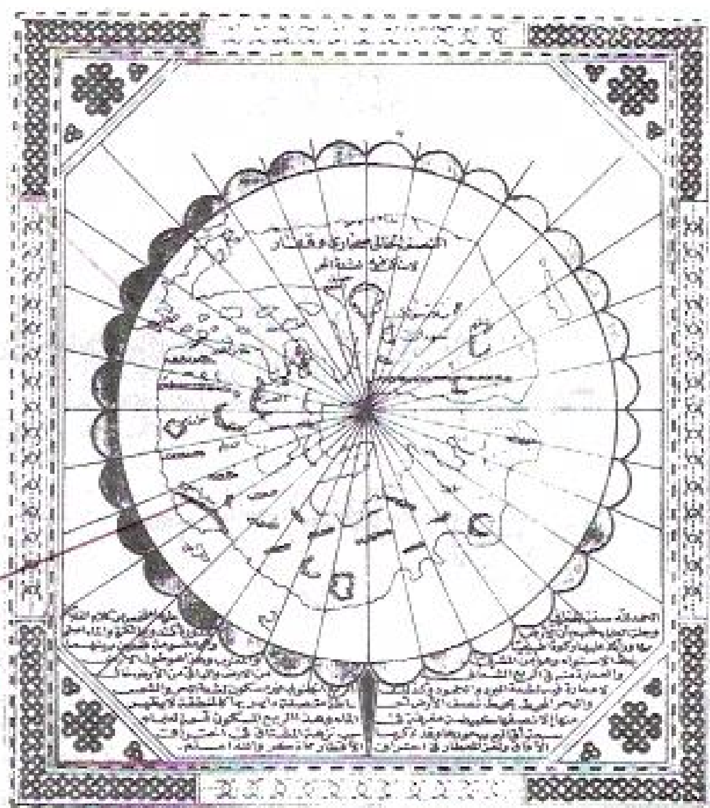
خريطة العالم للمستوفى (٧٤٠ هـ – ١٣٣٩ م) [١] .



وقد حدد « المستوفى » فى هذه الخريطة بلاد يأجوج ومأجوج شمال شرق الكرة الأرضية (شمال شرق آسيا) ، وهى نفس منطقة الروس والمنغوليين حالياً .

(١) المصدر السابق – خريطة ١٤ .

صورة الأرض للصفاقسى (٩٥٨ هـ ـ ١٥٥١ م) (١)



ملحوظة :

يلاحظ أن شمال الأرض أسفل الخريطة والجنوب لأعلى ، على النظام القديم للخرائط .

ويظهر سد يأجوج ومأجوج شمال شرق الكرة الأرضية (شمال شرق العراق والديلم وخوارزم) ، أى : بالقرب من المنطقة التى يقع بها سد باب الحديد الذى ذهب إليه سلام الترجمان .

(١) المصدر السابق ـ خريطة ١٧ .

بعد أن عرضنا مجموعة من الخرائط القديمة التى حددت موقع بلاد يأجوج ومأجوج بشرق ، وشمال شرق ، وشمال آسيا ، يجب أن نتعرف الآن على الأمم التى كانت تقطن هذه المناطق فى الماضى .

يقول الدكتور السيد الباز العرينى ـ فى كتابه « المغول » ـ ما ملخصه :

« إن منطقة شرق ، وشمال ، وشمال شرق آسيا والمعروفة باسم سهول الاستبس كانت تقطنها الأمم التركية والمنغولية والتتارية والتونجوز .

ومن أشهر القبائل التركية التى سكنت هذه المناطق :

الهون ـ توركش ـ القرغيز ـ الأويغور ـ الأغوز ـ السلاجقة ـ الكرايت ـ القارلوق .

ومن أشهر القبائل المنغولية التى سكنت هذه المناطق أيضاً :

(الخطا ـ قرة خيتاى ـ خيتاى) وهؤلاء يطلق عليهم الخيتائيون ـ الآفار ـ النايمان (وهم من الترك المغول) ـ عشيرة برجقين ـ جورشات .

ومن أشهر القبائل التتارية :

التتار البيض ـ التتار السود ـ تتار الغابة .

وكان التتار يعيشون شمال الصين .

وقد اتخذ المغول بعد ذلك اسم التتار »[1] .

والخريطة التالية توضح مواقع تلك القبائل التركية والمغولية والتونجوزية والتتارية (التى كانت تعيش شمال منغوليا والصين وشرق الاتحاد السوفيتى) وتوضح أيضاً الأمم التى كانت تجاورهم وذلك حوالى سنة ١٢١٠ ميلادية .

---

(١) المغول ـ د. السيد الباز العرينى ـ ص ١٠ ـ ٣٨

(١) الخريطة نقلاً عن كتاب « المغول » د. السيد الباز العريني : ص ٣٢ .

الفصل الرابع

هدم سد ذي القرنين فخرج من ورائه التتار والمغول

آراء كبار علماء المسلمين الذين أكدوا أن التتار والمغول هم يأجوج ومأجوج :

ذهب كثير من المفسرين والمؤرخين إلى أن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول .

يقول أحمد مصطفى المراغي .. في « تفسير المراغي » ـ سورة الكهف :

« يأجوج هم التتر ، ومأجوج هم المغول وأصلهما من أب واحد يسمى ترك ، وكانوا يسكنون الجزء الشمالي من آسيا ، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمد الشمالي ، وتنتهي غرباً بما يلي بلاد التركستان » .

وقال سيد قطب في تفسيره « في ظلال القرآن » : إن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول .

وقال أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة الكهف :

« الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين المعروفة بأسماء : التتار والمغول والهون والسيث ، وغير ذلك فقد كانت هذه القبائل تغير على الدول المتحضرة من قديم الزمان » .

وفي التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، الصادر عن مجمع البحوث الإسلامية ، والذي قام بوضعه مجموعة من كبار علماء الأزهر ، تفسير سورة الكهف ، ذكر :

« إن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول ، وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمد الشمالي ، وتنتهي غرباً إلى ما يلي بلاد التركستان وحدث في هضبات

آسيا الوسطى وشمال الصين ما بين الدرجتين السابعة والعشرين والخمسين من خطوط العرض الشمالية ، وبذلك تبلغ بلادهم فى العرض ثلاثاً وعشرين درجة » .

ويقول الشيخ طنطاوى جوهرى ـ فى « تفسير الجواهر » عند تفسير سورة الكهف :

« يأجوج ومأجوج مأخوذان من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها ويشيران لكثرتهم وشدتهم ، وذكر بعض المدققين أن أصل المغول والتتر من رجل واحد يقال له « ترك » وهو نفسه الذى سماه أبو الفداء باسم « يأجوج » ، فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بيأجوج ومأجوج ، وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالى من آسيا وتمتد بلادهم من التبت والصين إلى المحيط المتجمد الشمالى ، وتنتهى غرباً بما يلى بلاد التركستان ، كما فى « فاكهة الخلفاء » وابن مسكويه فى « تهذيب الأخلاق » وفى « رسائل إخوان الصفا » فقد ذكروا جميعاً أن هؤلاء هم يأجوج ومأجوج .

وبلاد التركستان أو بلاد الترك تنقسم الآن إلى قسمين : قسم تابع لروسيا ، وقسم تابع للصين . والتابعة للروس فيها بلاد فرغانة وجنوه وبخارى وطشقند ونهر سيحون وجيحون » .

وقال ابن كثير فى « البداية والنهاية » الجزء الثانى ـ ذكر يأجوج ومأجوج :

« يأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مغل [1] المغول وهم أشد بأساً وأكثر فساداً ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم » .

ويؤكد عبد الرحمن يوسف العبد ـ فى كتابه « ذو القرنين » أن التتار والمغول هم يأجوج ومأجوج فيقول :

« ... من الواضح من السياق القرآنى أن يأجوج ومأجوج كانوا فى أقصى الشرق من العالم القديم وأقصى الشرق فى العالم القديم كانت الصين وكانت تسمى فى ذلك الوقت « بلاد كاساى » وكذلك سهول الاستبس الرعوية التى يسكنها شعب المغول التتار (والمغول والتتار فرعان كبيران لشعب واحد) ، وجغرافياً تقع بلاد المغول

(١) مغل : أى : أشد طائفة فيهم .

أو سهول الاستبس إلى الشمال والشمال الغربى للصين فى المنطقة الممتدة من هضبة التبت غرباً إلى سواحل الصين شرقاً ، وبين خطى عرض ٣٠ ، ٥٠ شمالاً ، وبهذا الموقع الجغرافى يكون التتار والمغول مجاورين للشعوب التركية الضاربة فى وسط آسيا وإلى الجنوب والشرق منهم تقع الصين وتفصلهم عن العالم الإسلامى فى غرب آسيا مرتفعات آسيا الوسطى .

ولقد كان المغول والتتار سكان هذه المنطقة شعباً رعوياً على درجة مخيفة من الهمجية والميل لسفك الدم والعدوانية الشرسة » .

صفات يأجوج ومأجوج فى القرآن وأحاديث النبى ﷺ :

وأنا أؤيد الرأى القائل بأن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول لأن جميع الأدلة تشير إلى ذلك .

ولكى نقطع بما إذا كان التتار والمغول هم يأجوج ومأجوج أم لا ، فلا بد أن تتوافر فيهم شروط يأجوج ومأجوج الواردة فى السياق القرآنى لقصة يأجوج ومأجوج ، وهذه الشروط هى :

١ - أن يكونوا من سكان شرق أو جنوب شرق أو شمال شرق آسيا لأنه فى هذه المنطقة وجد ذو القرنين يأجوج ومأجوج فبعد تجواله فى منطقة مغرب الشمس ، ذكر القرآن أنه ذهب إلى منطقة مشرق الشمس ، فوجد هناك قوماً ليس بينهم وبين الشمس ستراً ، أى : حجاباً ؛ لأن هذه المنطقة منطقة سهول ليس بها جبال أو أشجار أو غابات يستظلون بها من الشمس ثم قال القرآن بعد رؤيته لهؤلاء القوم فى منطقة مطلع الشمس (شرق آسيا) :

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ [الكهف : ٨٥] أى : تابع تجواله فى هـذه المنطقة ، فمن الجائز أن يكون اتجه شمالاً أو جنوباً أو شرقاً أو غرباً . كل هذا داخل منطقة شرق آسيا .

لهذا فأول صفة فى يأجوج ومأجوج طبقاً للسياق القرآنى أنهم من سكان شرق آسيا .

٢ – أن يكونوا شعباً همجياً مفسداً فى الأرض ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ ﴾ [الكهف : ٩٤] .

٣ – من صفات يأجوج ومأجوج أيضاً أنهم كثيراً ما كانوا يغيرون على القبائل والأمم والشعوب المجاورة لهم ، ويتضح هذا من استغاثة القوم المجاورين لهم بذى القرنين منهم ومن كثرة إغاراتهم عليهم .

٤ – أن يكون موطن هؤلاء القوم خلف سلسلة من الجبال التى تمتد إلى مئات الكيلومترات ، وتكون هذه الجبال مرتفعة عن سطح الأرض ارتفاعاً شاهقاً يصعب عليهم تسلقه ، وأن يكون هناك فتحة فى هذه السلسلة مبنى عندها سد مصنوع من قطع الحديد الملتصق بالنحاس المذاب وأن يكون ارتفاع هذا السد بارتفاع هذه الجبال الشاهقة ؛ حتى يصعب عليهم نقبه ، أو تسلقه أيضاً ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَمَا اسْطَاعُواْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً ﴾ [الكهف : ٩٧] .

٥ – عند تجدُّد غارات يأجوج ومأجوج مرة أخرى على هؤلاء القوم أو على العالم وظهورهم على المسرح السياسى مرة أخرى يشترط أن يهدم السد وأن يكون ذلك فى نهاية الأيام أو بالقرب من قيام الساعة ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقّاً * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ .

[الكهف : ٩٨ ، ٩٩] .

٦ – أن تكون أول غارات يأجوج ومأجوج ـ بعد هدم السد ـ على الدول الإسلامية وتكون تلك الدول صاحبة النصيب الأكبر فى القتل والتشريد والتخريب على يد هؤلاء المفسدين ، ويكون ذلك فى زمان يكثر فيه الخبث من المسلمين وحكامهم ، فيكون حكامهم ظلمة فسقة ، لا يعملون بشريعة الله أو سنة

نبيهم ﷺ ، ويكون المسلمون مفرّطين فى دينهم ، يفضّلون دنياهم على آخرتهم يعادون بعضهم البعض ، إلى غير ذلك من المفاسد والشرور والآثام .

ويتضح هذا من حديث « زينب بنت جحش » ـ رضى الله عنها ـ عندما قالت : « خرج رسول الله ﷺ فزعاً محمراً وجهه يقول :

« لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بإصبعيه الإبهام والتى تليها (أى : جعلهما مثل الحلقة ، إشارة إلى أن الذى فتح منه قليل) قالت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » ـ رواه الجماعة إلا أبا داود .

٧ - أن يكونوا شرسين فى حروبهم ، لا يراعون أىّ حرمة ، ولا يفرقون بين شيخ مسنّ ، أو طفل ، وبين فارس محارب أو امرأة ، ولا يستطيع أحد الوقوف أمامهم أو صد غاراتهم .

ويتضح ذلك من الحديث الذى قاله النبى ﷺ عن خروجهم مرة أخرى فى زمان عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء وقتله الدجال عندما قال ﷺ :

« ... ثم يأتى عيسى قوماً قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى : أنى قد أخرجت عباداً لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله تعالى يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ... » .

ـ رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان .

وقوله ﷺ : « ... يستوقد النار من قسىّ يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين » .

ـ رواه ابن ماجه

٨ - أن يكون سلاحهم النشاب والأترسة ، كما ورد ببعض الأحاديث التى ذكرناها سابقاً .

٩ - أن تكون ملامحهم على النحو التالى :

عراض الوجوه ـ صغار العيون ـ صهب [١] الشعاب ـ صغار الأنوف ـ وجوههم كالمجان [٢] المطرقة ـ أحذيتهم من الشعر .

قال رسول الله ﷺ :

« إنكم تقولون أنه لا عدو ، وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتى يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون ـ صهب الشعاب ومن كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المجان المطرقة » .

حديث صحيح ـ رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن حرملة .

وفى رواية أخرى : « ... حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر » . رواه البخارى ـ والحديث كان يصف قوم حور وكرمان من الأعاجم وهم من الترك .

١٠ - أن يكونوا من الترك أو مختلطة أنسابهم بالترك ، أو تكون بلادهم مجاورة لبلاد الترك ، وأن يمتد نسبهم إلى يافث بن نوح فقد روى الكثير من الأخبار التى تؤكد أنهم من الترك ، أو أنهم طائفة خلاف الترك ولكن بلادهم مجاورة لبلاد الترك .

فقد قال الضحاك : « إن يأجوج ومأجوج من الترك » وقيل : يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم .

وقال ابن كثير : « يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك » .

وقال : « يأجوج ومأجوج طائفة من الترك ، وهم مثل المغول ... وقد قيل : إن الترك إنما سموا أتراكاً لأن ذا القرنين حين بنى السد وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه بقيت منهم طائفة لم تكن فاسدة مثلهم ، فتركهم وراء السد فسموا الترك » .

---

(١) صهب : الأصهب بمعنى الأصفر المائل إلى الحمرة .

(٢) المجان : التروس .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : « ولد نوح ثلاثة : سام ، ويافث ، وحام ، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة ، فولد سام العرب وفارس والروم . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر » .

ـ رواه أحمد .

فجميع هذه الروايات تؤكد أنهم من الترك أو أنهم غير الترك ولكن بلادهم مجاورة لبلاد الترك أو أنسابهم مختلطة بأنساب الترك .

هذا بالإضافة إلى أن مجموعة الخرائط القديمة (التى سبق أن عرضناها) للقزوينى والإدريسى والصفاقسى والجيهانى والمستوفى ، كانت تحت موقع بلاد يأجوج ومأجوج بالقرب من بلاد الترك والروس والصقالبة والديلم ، وأحياناً فى نفس المكان الذى يقطنه الترك .

صفات يأجوج ومأجوج بالقرآن والأحاديث النبوية تنطبق على التتار والمغول :

فإذا أردنا أن نطبق هذه الشروط على المغول والتتار سنجد الآتى :

١ - المغول والتتار كانوا يقطنون منطقة شرق وشمال آسيا ، وكان يقطن معهم بنفس المنطقة الترك والتنجوز والصينيون .

وهذه الشعوب كانت شعوباً متبربرة تعيش على الرعي وتنتقل من مكان إلى آخر ، وكثيراً ما كان كل منهم يغير على الآخر ؛ لذا فأنسابهم كانت مختلطة ببعضها فهناك مغول من أصل تركى وأتراك من أصل منغولى وهكذا .

وفى أوائل القرن السادس الميلادى (قبل بعثة النبى ﷺ مباشرة) أسس الترك ويطلق عليهم أيضاً (الغز) امبراطورية قوية امتدت من منغوليا وشمال الصين حتى البحر الأسود .

وقد اتخذ المغول فيما بعد اسم (التتار) لقباً لهم .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى (القـــــرن السابع الهجرى) كان نهر سرداريا (سيحون) يفصل بين العالم التركى المغولى والعالم الإسلامى ممثلاً فى الامبراطورية الخوارزمية المجاورة لبلاد المغول والتتار [١] .

وكانت هذه الأمم تعيش فى منطقة تسمى سهول الاستبس وتقع شمال الصين وشرقها وهى مناطق مفتوحة ليس بها غابات أو أشجار .

٢ - كان هؤلاء القوم معزولين عن العالم الواقع غربهم ؛ بسبب وجود سلاسل الجبال والمرتفعات الواقعة في وسط آسيا ، وأهمها سلسلتا جبال ضخمتان أولاهما جبال تيان شان والتاى ، وثانيتهما جبال الهملايا . فسلسلة جبال تيان شان والتاى كانت تقع فى الشمال الغربى من بلادهم ، وسلسلة جبال الهملايا فى الجنوب وجبال تيان شان سلسلة ضخمة يتفاوت ارتفاعها عن سطح البحر بين ١٥ ألف و ٢٠ ألف قدم ، ويصل ارتفاعها في بعض المواضع إلى ٢٥ ألف قدم ، ويبلغ طولها نحو ١٢٠٠ ميل وتمتد من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى لقارة آسيا .

أما جبال التاى أو جبال الذهب فهى مجموعة من السلاسل الجبلية التى تمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى بطول يزيد على ٧٠٠ ميل على امتداد الحافة الغربية للهضبة المرتفعة الواقعة إلى الشمال الغربى من منغوليا ولا يتجاوز ارتفاع هذه الجبال اثنى عشر ألف قدم .

وهضبة البامير تقع جنوب غرب سلسلة جبال تيان شان ، وهى هضبة مستطيلة بالغة الارتفاع وتلتقى عندها أضخم السلاسل الجبلية فى آسيا الوسطى [٢] .

٣ - يقع سد ذى القرنين المعروف بسد « باب الحديد » بين مدينتى ترمذ وسمرقند عند منطقة التقاء السلاسل الجبلية الواقعة فى آسيا الوسطى وخلف هذا السد كانت تقع بلاد المغول والتتار والتوتجوز والقبائل التى كانت تعيش فى شمال

---

(١) المغول : د. السيد الباز العرينى ـ ص : ٢٨ - ٣٨ .
(٢) المصدر السابق ص : ٥ - ٦ .

الصين بالإضافة إلى القبائل التركية الأخرى وكان أمام السد من الناحية الغربية قبائل تركية أيضاً وهم الذين بنى لهم ذو القرنين السد ؛ ليفصل بينهم وبين يأجوج ومأجوج .

وقد دكّ هذا السد كما وعد الله تعالى بذلك قبل قيام التتار والمغول بغزواتهم على العالم ، ولكن لا أحد يعلم الزمن الذى دك فيه أو أسباب هدمه ، وقد مرّ « تيمور لنك » ملك المغول بجيوشه من هذا السد أثناء غزوه للدول الإسلامية (الامبراطورية الخوارزمية) .

وقد جاء ذكر هذا السد فى كتاب الألمانى « سيلدبرجر » عندما مرّ مع « شاه روح » من خلال هذا السد وكان ذلك فى أوائل القرن الخامس عشر كما ذكر هذا السد الإسبانى « كلافيجو » سنة ١٤٠٣ م أثناء رحلته إلى بلاد المغول حيث كان رسولاً من ملك « قشتالة » إليهم .

٤ - كان من ملامح التتار والمغول أنهم صغار العيون ، عراض الوجوه ، صغار الأنوف - وجوههم كالمجان المطرقة ، وهى نفس الأوصاف التى وصف بها النبى ﷺ يأجوج ومأجوج .

٥ - كان سلاح التتار والمغول فى حروبهم النشاب [1] (نوع من النبال) .

وهو نفس السلاح الذى ورد فى بعض الأحاديث أنه سلاح يأجوج ومأجوج .

٦ - الترك والمغول والتتار والروس والصقالبة وباقى شعوب شرق وشمال آسيا يرجع أصل نسبها إلى يافث بن نوح عليه السلام وهذا يوافق الروايات التى أكدت أن يأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح .

٧ - ذكر القرآن الكريم أن هدم سد يأجوج ومأجوج وخروجهم من ورائه سيكون فى نهاية الأيام أو بمعنى أدق بالقرب من قيام الساعة ، وقيام الساعة طبقاً لما حدده النبى ﷺ له علامات كبرى وعلامات صغرى وأولى العلامات الصغرى للساعة

---

(١) تاريخ الخلفاء : السيوطى - باب شرح حال التتار .

هى ظهور النبى محمد ﷺ فهو أولى علاماتها وأماراتها ، مصداقاً لقوله ﷺ :

« بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى » ـ رواه البخارى .

وفى رواية أخرى قال ﷺ :

« اعددْ ستاً بين يدى الساعة : موتى ...... » .

(رواه البخارى)

وكان هدم السد وخروج التتار والمغول من ورائه بعد بعثة وموت النبى ﷺ وبالتحديد فى القرن السابع الهجرى ، أى : بعد بعثته بستمائة سنة على الأقل .

وقد نبأ النبى ﷺ فى زمانه باقتراب خروج يأجوج ومأجوج وما سيصيب العرب من شر نتيجة لذلك بقوله :

« ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من سد يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بإصبعه الإبهام والتى تليها .. » . رواه الجماعة إلا أبا داود

وحدث ذلك بعد نبوءته هذه بما يقرب من ستمائة عام عندما اجتاح التتار والمغول الدول الإسلامية .

أما متى هُدم السد فالواضح أنه هُدم بعد القرن الثالث الهجرى لأنه فى زمان النبى ﷺ كان السد موجوداً ودليل ذلك قوله : « ... فتح اليوم من سد يأجوج ومأجوج مثل هذا ... » .

وقوله ﷺ للأعرابى الذى أتى إليه وأخبره أنه شاهد سد يأجوج ومأجوج بأن يصفه له ، وعندما وصفه قال : لقد شاهدته أو رأيته ؛ فهذه الأحاديث تدل على أن السد كان موجوداً فى زمان النبى ﷺ .

« وسلام الترجمان » الذى بعثه الواثق بالله ؛ لمعاينة السد ، فذهب إليه ، ثم رجع إلى الواثق بالله ، ووصفه له يدل على أن السد كان لا يزال قائماً فى زمن الواثق بالله ، وهو « هارون بن المعتصم بن الرشيد » الذى تولى الخلافة عام ٢٢٧ هجرية وتوفى عام ٢٣٢ هجرية .

وعلى ذلك يكون السـد قد هـدم بعد هذا التاريخ وليس قبله ، لكن متى بالتحديد ؟ لا أحد يعرف ؛ لأنه لا يوجد لدينا مصادر تاريخية تحدد تاريخ هدمه ، لكن قد يكون عند أهل التركستان أو فارس مؤرخون قد ذكروا تاريخ هدم هذا السد ، ولكن هذه الكتب لم تترجم أو لم تصل إلينا .

وقد اجتاز هذا السد بعد دكه « تيمور لنك » بجيشه ومرّ به « شاه روح » وكان في خدمته العالم الألماني « سيلدبرجر » الذي ذكر هذا السد في كتابه في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، كما جاء ذكر هذا السد في رحلة المؤرخ الإسباني « كلافيجو » سنة ١٤٠٣ م فقال :

« إن سد مدينة باب الحديد على الطريق بين سمرقند والهند وقد يكون هو السد الذي بناه ذو القرنين » (١) .

وكان « كلافيجو » رسولاً من ملك « قشتالة » إلى المغول عندما مر بهذا السد .

٨ – ٩ – ١٠ – أما عن غزو المغول للدول الإسلامية وحال الدول الإسلامية عند هذا الغزو ، فلو راجعنا كتب التاريخ في هذا الشأن فسنجد أن الدول الإسلامية كان منتشراً فيها الشقاق والخلاف بين أمرائها وحكامها ، فكان كل منهم يقاتل الآخر طمعاً في الخلافة أو توسيع مملكته ، وانتشر الفساد واللهو والترف والغناء والزنا وشرب الخمر بين المسلمين ، وانشغلوا بدنياهم وشهواتهم عن دينهم ، وكثر الخبث فيما بينهم ، كما تنبأ النبي ﷺ بهذا ، وعند ذلك بعث الله عليهم التتار والمغول أو يأجوج ومأجوج بعد أن دك الله السد الذي كان يحول بينهم وبين هؤلاء التاريين فكانوا أصحاب النصيب الأكبر في الخراب والدمار والقتل والتشريد الذي أحدثه المغول والتتار في أنحاء متفرقة من العالم .

وستفصل هذا الموضوع بعد قليل .

---

(١) راجع تفسير الجواهر : طنطاوي جوهري – جـ ٩ ، والتفسير الوسيط : تفسير سورة الكهف – مجمع البحوث الإسلامية .

بداية قيام امبراطورية المغول والتتار :

كان للتتار شهرة سابقة على ظهور المغول ، كامبراطورية عظمى مؤثرة فى العالم فقد ظهرت الامبراطورية المغولية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وعند غزوهم للعالم اتخذوا اسم « التتار » كلقب لهم .

أما شهرة التتار فترجع إلى القرن السادس الميلادى ، فقد كان لهم سلطان وقوة يهددون بها مملكة الصين الشمالية ، وما يجاورهم من قبائل أخرى .

وكانت منطقة شرق ، وشمال ، وشمال شرق آسيا يقطنها مجموعة من القبائل التركية والمغولية والتتارية .

وكانت المواطن الأصلية للمغول تمتد على أنهار كيرولين وتوتى وأرخون واستطاع « بودانتسار » جد المغول الذى اشتهر بالمكر والخديعة أن يفوز بالزعامة على القبائل التى تعيش فى الجهات المجاورة لمنازله على الشاطئ الشرقى لبحيرة « بايكال » ثم التمست أسر أخرى بعد ذلك حماية ابنه « قيدو » فتزايد عدد رعاياه ، فكانت تلك هى النواة الأولى لمملكة المغول واتخذ « قيدو » لقب خان (ملك) .

وكان لقيدو ثلاثة أبناء كان أكبرهم جداً لأسرة « قيات » التى ينتمى إليها « جنكيزخان » بينما كان الثانى جداً لأسرة « التايجيوت » .

وفى زمن « كابل » حفيد « قيدو » بلغت مملكة المغول ذروتها بعد أن توطدت الصداقة بين المغول وأسرة « كين » ، التى كانت تحكم شمال الصين ، نظراً لما تتعرض له من تهديد من جانب منغوليا .

ثم وقعت المشاحنات بين خان المغول « كابل » وملك الصين « تاى سونغ » ، فشبت الحرب بينهما سنة ١١٣٥ م ، وانتهت بهزيمة جيش الصين سنة ١١٣٩م ، ويعتبر هذا التاريخ بداية ظهور نجم المغول على الساحة الدولية .

فامتد سلطانهم نحو الشمال الغربى لمنغوليا ، ثم أخضعوا لهم التتار النازلين على

الضفة الجنوبية لنهر كيرولين ، فلم يسع امبراطور الصين الشمالية « التان خان » من أسرة كين إلا أن يثير العداء بين المغول والتتار ؛ فنشبت معارك عديدة بينهما اشترك فيها « يسوكاى » والد « تيموجين » الذى تسمى فيما بعد « بجنكيزخان » وانتهت هذه المعارك بانتصار المغول على التتار وإخضاعهم لسلطانهم .

وتلا ذلك فترة أصبح فيها للتتار النفوذ والسلطان بفضل مساندة أسرة كين الصينية لهم ، فسيطر التتار على شرق صحراء جوبى بعد أن كانت فى حوزة المغول ، وصار التتار مصدر خطر على أسرة كين الصينية ذاتها ، فانقلبت عليهم ، وهيأت الفرصة لجنكيزخان (تيموجين) ؛ لأن ينتصر عليهم ، ويضمهم إلى مملكته .

بعد ذلك قام « تيموجين » بمساعدة « طغرل » زعيم الكرايت (قبيلة تركية) فى الغرب لاسترداد عرشه ، وتحالف الاثنان على أن يكونا يداً واحدة .

واستطاع تيموجين أن يتغلب على منافسيه ففى سنة ١١١٨ م هاجم بجيوشه التى يبلغ عددها حوالى ١٣ ألف رجل جموع « التايجيوت » وكانوا حوالى ٣٠ ألف مقاتل فأنزل بهم هزيمة ساحقة ، وألقى بالأسرى فى أحواض ممتلئة بالمياه المغلية فأثار بذلك الخوف والرعب فى نفوس باقى خصومه ، وترتب على ذلك أن انصاع لأوامره كل القبائل التى سبق وأن تحالفت عليه .

واستطاع « تيموجين » و « طغرل » ملك الكرايت أن يقهرا القبائل التركية المغولية الخارجة على نظامهما ، وعلى الأخص قبيلة المركيت ، والنايمان .

وبعد سلسلة من الحروب بينه وبين خصومه استطاع تيموجين أن يوحد جميع القبائل المغولية ويخضعها لحكمه كما أخضع التتار السود ، والجاسيرات ، والقنقرات ، والأوبرات ، والتايجيوت وغيرهم .

وعندما تخلى عنه ملك الكرايت « طغرل » وتحالف مع « جاموكا » ملك الجاسيرات فاجأه جنكيزخان (تيموجين) بمكره ودهائه بالهجوم عليه ودارت بينهما معركة انتهت بانتصار جنكيزخان سنة ١٢٠٣ م وبذلك أخضع الكرايت لسلطانه .

ثم أخضع بعد ذلك الأويغور ، والقارلوق ، والمالق والقرغيز لسلطانه ، وهم من القبائل التركية .

واختلف المؤرخون في الزمن الذى اتخذ فيه « تيموجين » لقب « جنكيزخان » أى : « امبراطور العالم » فالبعض يرى أنه اتخذ هذا اللقب بعد أن نصبه أربعة من أمراء المغول ملكاً على القبائل المغولية ، والبعض ذهب إلى أنه لم يتخذ هذا اللقب إلا بعد انتصاره على الكرايت سنة ١٢٠٣ م ورأى فريق آخر أنه اتخذ هذا اللقب بعد الانتصار على النايمان سنة ١٢٠٦ م .

والخريطة التالية توضح حدود امبراطورية « المغول » و « التتار » حوالى سنة ١٢٠٠ ميلادية (١) .

(١) الخريطة نقلاً عن معالم تاريخ الإنسانية ـ هـ . ج . ولز ـ جـ ٣ .

ويشير « دوسون » إلى أن المغول كانوا يعبدون الشمس عند الشروق ، ولا يؤمنون بدين ولا يعرفون حلالاً أو حراماً ، فكانوا يأكلون لحوم الحيوانات على اختلافها من الكلاب والخنازير وغيرها [1] .

واشتهر المغول بسرعة التعبئة ، وشدتهم التى لا تُقهر ، وبسالتهم فى القتال ، وقدرتهم الفائقة فى الرماية والفروسية ، وشجاعتهم ، وإقدامهم ؛ فلم يقع أحد منهم فى الأسر أبداً ، فإما أن ينتصر أو يلقى مصرعه ، وكانوا يبادرون إلى الهجوم قبل أن يبلغ العدو التحذير والإنذار ، وبالإضافة لهذه المزايا كان يعيبهم ما يتصفون به من الشراسة فى القتال وعدم الرحمة ، والعناد والغطرسة والكبرياء والقذارة ؛ لذا كانت جميع الشعوب تمتلئ منهم خوفاً ورعباً .

وكانت الصين أول هدف لحملات « جنكيزخان » الحربية ، والمعروف أن الصين كانت منقسمة إلى قسمين : الصين الشمالية وعاصمتها « ينكين » بالقرب من « بكين » ، والصين الجنوبية وأكبر مدنها « هانغ شو » .

وتولى حكم الصين الجنوبية أسرة « سونغ » بينما حكمت أسرة كين الصين الشمالية ، وكان لأسرة كين السيطرة على بلاد التتار البيض والخيتائيون ، وهزم جنكيزخان أسرة كين فأذعنت له البلاد الواقعة فى داخل سور الصين الكبير وذلك سنة ١٢١١ م .

وفى نفس السنة ١٢١١ م أعلن « أرسلان شاه » أمير القارلوق ولاءه للمغول وهو أول أمير مسلم يعلن ولاءه لهم ، ثم تبعه على نفس المنوال أمير المالق سنة ١٢١٦ م .

وفى سنة ١٢١٩ م اعترف ملك كوريا بالتبعية لجنكيزخان .

---

(١) المغول ـ مصدر سابق ـ ص ٤٢ .

موقف الدول الإسلامية من امبراطورية المغول والتتار عند قيامها :

كانت الفتوحات الإسلامية قد امتدت شرقاً زمن الخلفاء الراشدين والأمويين حتى وصلت إلى إقليم ما وراء النهر ، ودخلت بلاد التركستان فى الدين الإسلامى ، واكتفى العرب بصد غارات الترك الغز ، النازلين بأطراف ملكهم ، ولم يتقدموا فى بلادهم إلى مقر خاقانهم .

وأخذ الإسلام ينتشر بين الترك ، حين امتد نفوذ دولة آل سامان الإيرانية الإسلامية إلى آسيا الوسطى فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (٨٢٠ - ١٠٠٠ م) .

وكان هناك علاقات متبادلة بين الدولة الخوارزمية والمغول فى أوائل القرن الثالث عشر .

وفى سنة ١٢١٥ ، ١٢١٦م أرسل « خوارزم شاه » رسلاً إلى جنكيزخان ؛ ليتحقق من الأنباء التى أذيعت من أن جنكيزخان سيطر على الصين حيث إنه كان لديه الرغبة فى غزوها ، وكان هدف هذه السفارة التعرف على ما لدى جنكيزخان من قوات عسكرية واستقبل جنكيزخان رسل « خوارزم شاه » ، وأخبرهم بأنه يعتبره سلطاناً على الغرب مثلما يعتبر نفسه سلطاناً على الشرق وأنه يود أن تقوم بينهما الصداقة والمودة وأن يتهيأ كل منهما للتجارة والحرية والانتقال من إقليم إلى آخر .

وتردد « خوارزم شاه » فى تبادل العلاقات التجارية مع جنكيزخان حيث إنه كان ينادى بمحاربة الكفار والوثنيين أينما كانوا ؛ فكان يود غزو المغول .

وبعد أن اندمج فى مملكة المغول الشطر الشمالى من تركستان الروسية وبعد انتصار « خوارزم شاه » على القبجاق شجع ذلك تجار خوارزم على اتخاذ الطريق الشمالى المؤدى إلى منغوليا وبذلك يتجنبون اجتياز تركستان الشرقية التى كانت ما تزال فى يد « كوجلك » عدو خوارزم شاه ، فاتجهت قافلة بزعامة أحمد خوجندى وأحمد

بلخس وابن الأمير حسين (حسن) إلى منغوليا . ورد جنكيزخان على هذه السفارة بأن أنفذ سفارة سنة ١٢١٨ م لتعزيز العلاقات التجارية والسياسية مع خوارزم شاه وترأس هذه السفارة محمود الخوارزمي وعلى الخواجا من بخارى ويوسف خانجا من « أوترار » وحملت إلى خوارزم شاه هدايا ثمينة من الذهب والأحجار الكريمة والمسك وأثواب التورجو المصنوعة من وبر الإبل ، والتي لا تهدى إلا للسلاطين واستقبل خوارزم شاه هذه السفارة في بخارى ، وسلموه رسالة من جنكيز خان كان نصها :

« لا يخفى عليّ عظيم شأنك ، وما بلغت من سلطان ، وقد علمت باتساع ملكك ونفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض وإني لأرى أن مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندي مثل أعز أولادي ، ولا يخفى عليك أيضاً أنني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لي قبائلهم وأنت أخبر الناس بأن بلادي مثارات العساكر ومواطن معادن الفضة وأن فيها ما يغني عن طلب غيرها ، فإن رأيت أن تهيء للتجار في الجهتين سبيل التردد عمّت المنافع وشملت الفوائد »[1] .

على أن خوارزم شاه لم يوافق على عقد معاهدة مع جنكيز خان إلا بعد أن أطلعه محمود الخوارزمي على فتوحات جنكيزخان في الصين وبكين وما لدى جنكيزخان من قوات ضخمة لا يمكنه الصمود أمامها ولكن لم يستطع خوارزم شاه أن يخفي ضيقه من وصف جنكيزخان له في رسالته بأنه مثل أولاده حيث اعتبر خوارزم شاه أن هذا التشبيه فيه إهانة له . غير أن هذا الحادث لم يؤدّ إلى الشقاق بين الملكين بفضل لباقة محمود الخوارزمي فوافق في نهاية الأمر على عقد معاهدة مع جنكيزخان .

وأرسل جنكيزخان قافلة سنة ١٢١٨ م إلى بلاد خوارزم شاه ، فوصلت القافلة إلى « أوترار » ببلاد ما وراء النهر والتابعة للدولة الخوارزمية وكان واليها « قادرخان » خال خوارزم شاه .

وتألفت القافلة من ٤٥٠ رجلاً كلهم مسلمون ومن ٥٠٠ جمل تحمل سلعاً تجارية من الذهب والفضة والمنسوجات الحريرية ومنسوجات التورجو وفراء السمور والقندس وغيرها ، ورأس القافلة عمر خوجا الأوتراري ، وجمال المراغي (من مراغة

(١) المغول ـ مصدر سابق ـ ص ١١٩ .

بأذربيجان) وفخر الدين الديزكي البخـــارى ، وأمـين الدين الهـــيراتى ، لكن والى « أوترارى » شرهت نفسه إلى أموال التجار فاحتجز القافلة وكاتب السلطان خوارزم شاه يقول له :

« إن هؤلاء القوم قد جاءوا بزى التجار وما قصدهم إلا التجسس فإن أذنت لى فيهم قبضت عليهم » (١) .

فأذن له من باب الاحتياط فقبض عليهم وأخذ أموالهم ووزع السلع على تجار بخارى وسمرقند وحاز أثمانها لنفسه .

فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه سفارة مؤلفة من ثلاثة رجال للاحتجاج عند السلطان على الغدر برجال القافلة ومبعوثيه وكان نص الرسالة الشفوية التى حملها السفراء إلى خوارزم شاه ما يلى :

« إنك أعطيت أمانك التجار ، فغدرت ، والغدر قبيح ، وهو من سلطان الإسلام أقبح فإن زعمت أن الذى فعله خالك بغير أمرك فَسَلِّمه إلينا ، وإلا سوف تشاهد منى ما تعرفنى به » (٢) .

فما كان من خوارزم شاه إلا أن أمر بقتل أحد أفراد السفارة والقبض على زميليه وحلق شعر رأسيهما وكانا من التتار .

وهنا أعلن جنكيزخان الحرب على الدولة الخوارزمية والمسلمين جميعاً .

وكان هـذا التصرف الأحمق الغـادر من خوارزم شـاه يعد أكبر غلطة فى حياته ولا يجوز تبريره بأنه قبل المعاهدة مع جنكيزخان كارهاً ؛ لأنه أعطى جنكيزخان وتجاره الأمـان وكان واجبـاً عليه أن يحـترم وعده وميثـاقه ، حتى ولو كان بينـه وبـين كفرة وثنيين ، فهذا لا يبرر تصـرفه وما فعله منافٍ لتعـاليم الإســلام ولا يدل إلا على خسته وغدره .

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطى : باب شرح حال التتار .
(٢) المصدر السابق .

وعلى الجانب الآخر كان الخلفاء العباسيون المسلمون منغمسين فى شهواتهم وملذاتهم ، واضطهاد شعوبهم المسلمة ومنشغلين بجمع المال وكنز الذهب والفضة ، وبناء القصور الفخمة ، وإثقال كاهل المسلمين بالضرائب ، وانتشر شرب الخمر ، والزنا بين المسلمين ، وضاعت الأمانات وخربت الضمائر ، وانشغل المسلمون بدنياهم عن دينهم ، وكثرت المعازف وأدوات اللهو والطرب والغناء ، وتسابق الأمراء والأغنياء في اقتناء الراقصات وشرائهن بأغلى الأثمان ، واشتعلت الفتن والحروب بين الشيعة والسنّة .

وقامت الحروب بين الأمراء وبعضهم البعض طمعاً فى الخلافة .

وعلى نفس المنوال سار الأمراء الأيوبيون بالشام والمماليك فى مصر فاشتعلت بينهم الحروب والنزاعات طمعاً فى أن يوسع كل منهم مملكته ، ووصل الحال ببعض الأمراء من المسلمين فى نهاية المطاف إلى التحالف مع المغول ضد باقى الأمراء المسلمين ، بل منهم من كاتب المغول صراحة وطلب منهم مقاتلة الأمراء المسلمين ، ووعدهم بمساندتهم ، وإمدادهم بالمؤن والسلاح والجنود .

وهذا هو الخبث الذى انتشر بين المسلمين وأمرائهم ، وحدثنا عنه النبى ﷺ وعند ذلك سلط الله عليهم يأجوج ومأجوج (التتار والمغول) .

حملات يأجوج ومأجوج (التتار والمغول) على الدول الإسلامية والعالم :

بعد أن عزم جنكيزخان على إعلان الحرب على خوارزم شاه ، أجّل هذا القرار ؛ حتى يفرغ من قتال « كوجلك » قائد تركستان الشرقية أولاً ، فوجه حملة بقيادة « جيبى نويون » الذى استطاع هزيمة كوجلك والسيطرة على التركستان الشرقية المجاورة لدولة خوارزم شاه وكان معظم سكانها من المسلمين .

واتخذ جنكيزخان له مستشارين مسلمين ، وطلب منهم إعداد تقارير له عن قوات خوارزم شاه ، وما أعدّه من خطط لقتال المغول .

وفى عام ١٢١٩ م تقدم جنكيزخان بجيوشه إلى « قاياليق » ، فتعاونت معه قوات الأمراء المسلمين فى « آلماليق » ، و« قاياليق » ، فضلاً عن « أرسلان خان » أمير « القارلوق » وأيديقوت الأويغور ، وصحب جنكيزخان أيضاً التجار المسلمين الذين استخدمهم كوسطاء بين المغول والسكان الأصليين ؛ نظراً لدرايتهم بأحوالهم الداخلية .

واستفاد جنكيزخان من كل العناصر الساخطة على خوارزم شاه فى التعرف إلى الأحوال السياسية والداخلية لبلاده وإلى العداء المتأصل بين السلطان وقواده العسكريين ، وبفضل التجار والمستشارين المسلمين الذين صحبهم جنكيزخان فى هذه الحملة استطاع أن يرسم خططاً استراتيجية بارعة ساعدته على غزو بلاد خوارزم شاه بكل بساطة ، هذا كله بفضل هؤلاء الخونة من المسلمين الذين مكنوه من ذلك ؛ إما بسبب عدائهم لخوارزم شاه أو خوفهم من المغول أو طمعهم فى ولاية إحدى الإمارات التى كان جنكيزخان يمنيهم بولايتها ثم يخلف وعوده معهم ، ويتخلص منهم ، ونسى هؤلاء انتماءاتهم الوطنية والإسلامية ؛ فجروا على بلادهم وعلى المسلمين الدمار والخراب .

وكانت مدينة أوترار التى قتل فيها التجار هى أول مدينة تسقط فى يد المغول للأخذ بالثأر ، فقبضوا على حاكمها الذى قتل التجار ، ثم أوقدوا ناراً وصهروا بها فضة ورصاصاً ، ثم سكبوهما فى عينيه وأذنيه فمات ، ثم قتلوا جميع سكان المدينة من رجال ونساء وشيوخ وأطفال ثم أشعلوا النار فى المدينة كلها ، واندفعوا بعدها كالإعصار لتدمير كل مدن الشرق الإسلامى .

وعندما وصلوا إلى بخارى موطن الإمام البخارى ، قتلوا جميع سكانها وأحرقوا المدينة بعد أن وضعوا صناديق المصاحف تحت أقدام الخيل فى الزرائب [1] .

ثم زحفوا على سمرقند ثم جرجانية حاضرة بلاد ما وراء النهر ، ثم مدينة بلخ عاصمة خراسان ، ثم مرو ، ثم غزنة ، وغرنين ، وكابول ، وملكوا جميع مملكة خوارزم شاه ، وفر خوارزم شاه إلى إحدى الجزر ومات هناك وحيداً .

(١) ذو القرنين ـ مصدر سابق ـ ص ٥٨ .

ثم واصلوا زحفهم حتى وصلوا إلى أرمينيا فى أقصى غرب آسيا ، ثم اجتاحوا روسيا كلها وأحرقوا مدينتى موسكو وكييف ، واندفع فريق منهم إلى أوربا ، فاكتسحوا دول البلقان وشرق أوربا وبولندا ، ووصلوا فى زحفهم إلى ألمانيا ودمروا برلين ، واكتسحوا هنغاريا والمجر ، ووصلوا إلى فيينا ، عاصمة النمسا ، وسواحل بحر الأدرياتيك .

وكان من عاداتهم عند غزو البلاد أن يقطعوا آذان القتلى ؛ لتقديمها إلى رؤسائهم (١) ، وبلغ عدد الآذان التى جمعوها من قتلى بولندا مائتين وسبعين ألف أذن .

كما كانوا يأخذون أسرى المدن التى دمروها لاستخدامهم فى تمهيد الطرق للجيش المغولى ، وكدروع بشرية ؛ تحميهم من سهام العدو عند فتح الحصون ، فكانوا يجعلون هؤلاء الأسرى فى مقدمة الجيش عند مهاجمة حصون المدن المراد فتحها ، وأحياناً كانوا يجبرونهم على حمل أعلامهم ، كأنهم مقاتلون من الجيش المغولى ، فيتلقى هؤلاء الأسرى السهام الموجهة من هذه الحصون ؛ وبذلك يحتمى الجيش المغولى بهم ، كما أن هذه الطوابير العديدة من الأسرى كانت توحى إلى أعدائهم أن جيش المغول جيش ضخم ؛ فيقع الرعب فى نفوسهم ؛ فإما أن ينسحبوا ، أو يستسلموا أو ينفد ما معهم من رماح فى قتل هؤلاء الأسرى ، وعند ذلك تتدفع الخيول المغولية عليهم فى أقصى سرعة كالسيل المنهمر ، فيلقى المدافعون عن المدينة مصرعهم .

وكلما دخلوا مدينة قتلوا جميع سكانها ونهبوا ثرواتها ، ثم يشعلون النار فيها .

فعندما اجتاحوا جرجانية قتلوا كل من فيها ، ونهبوا الثروات ، ونقلوا ما يزيد على ١٠٠ ألف من الصناع ، وأرباب الحرف إلى المناطق الشرقية ، وسبوا الأطفال والنساء ، وحطموا السد الذى يمنع ماء جيحون عن البلد فانسابت المياه إلى داخل البلد فتهدمت الأبنية ، وظل موضع المدينة زمناً طويلاً مغموراً بالماء ومن أفلت من السكان من القتل غرق فى خضم الماء أو هلك بين الأنقاض .

---

(١) المغول فى التاريخ : الدكتور الصياد ـ نقلاً عن « ذو القرنين » : عبد الرحمن يوسف العبد ـ ص ٥٩ .

وكثيراً ما كانوا ينقضون عهودهم ، فعندما توجهوا للاستيلاء على « بلخ » استسلم أهلها ، وطلبوا الأمان من جنكيزخان ؛ فاستجاب لطلبهم فدخلوها ، ولم ينهبوها ، أو يقتلوا سكانها كما هى عادتهم ، ثم بعد فترة وجيزة نقضوا عهدهم فقتلوا أهلها وخربوا المدينة .

وعند استيلائهم على « مرو » استبسل المدافعون عنها فى قتالهم ، فحاصروها خمسة أيام ، ثم أرسلوا إلى حاكم المدينة ؛ يطلبون منه الإذعان والتسليم مقابل أن يعطوه وأهل المدينة الأمان ، فتوجه حاكمها إلى « تولوى » قائدهم ، فاحترمه وأثنى عليه الألقاب ، وأمره أن يطلب من المدافعين عن المدينة وقائدهم الخروج إليه ؛ لينظر فى حالهم ويتخذ منهم معاونين له وأمراء ؛ يملكهم على المدن ، فلما حضروا إليه قبض عليهم وعلى قائدهم ، ثم طلب منهم أن يكتبوا خطابات إلى تجار البلد ، ورؤسائها ، وأغنيائها وأصحاب الصناعات والحرف فيها ؛ يحثونهم فيها على الخروج من البلد والحضور إليهم فلما خرجوا جمعهم وأمر جنوده بقتلهم جميعاً ثم أحرق البلد كلها وأمر بإحصاء القتلى ؛ فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل (١) .

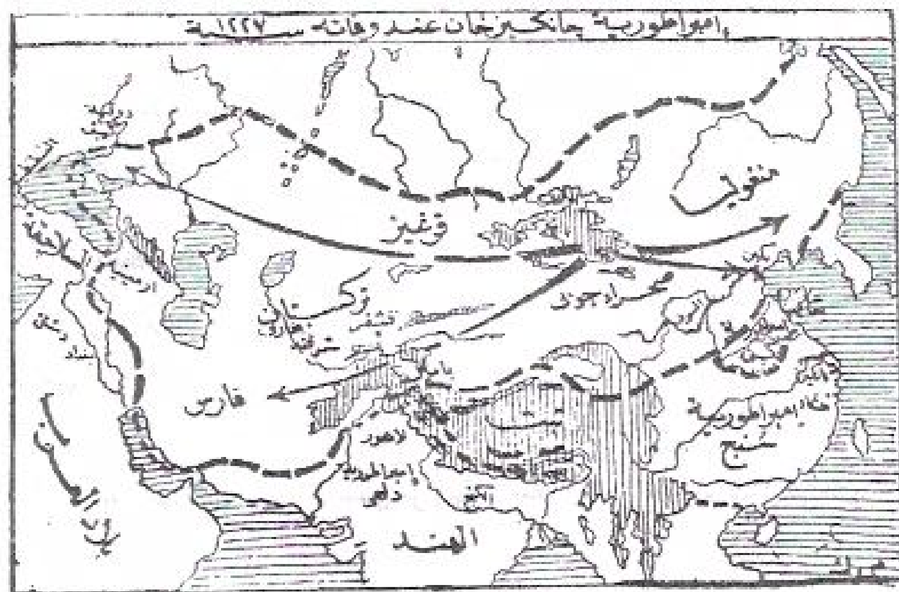
وعندما دخل « تولوى » بجيشه إلى « نيسابور » سبوا نساءها وظلوا خمسة عشر يوماً يخربون ، ويفتشون عن الأموال ، ثم أخرجوا أهلها إلى الصحراء ، وقتلوهم جميعاً انتقاماً لما حدث سنة ١٢٢٠ م من قتل « توقشار » صهر جنكيزخان بسهام المسلمين ، ولم ينج من القتل إلا أربعمائة من الصناع وأرباب الحرف الذين أبقى عليهم المغول ؛ للاستفادة منهم .

وعندما تمرد أهل « هراة » على الوالى الذى عينه المغول عليهم أرسل جنكيزخان إليها عسكراً ، فدخلوا البلد ، وقتلوا كل من فيه ، ونهبوا الأموال وسبوا الحريم ، وحرقوا المدينة وبلغ عدد القتلى حسب بعض الروايات مليون ونصف مليون ، وذلك سنة ١٢٢١ م .

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير .

والخريطة التالية توضح حدود امبراطورية المغول عند وفاة جنكيزخان سنة ١٢٢٧م :



وعلى الرغم من أن الخطر المغولى بات يهدد الخلافة العباسية فى بغداد بعد استيلاء المغول على بلاد خوارزم شاه وفارس .

وبات يهدد أيضاً الأمراء الأيوبيين فى الشام ومصر بعد الاستيلاء على دول شرق أوربا وروسيا والسلاجقة (الأتراك) ، إلا أن ذلك لم يدفع أمراء المسلمين إلى نزع خلافاتهم ، وتوحيد كلمتهم ، والاستعداد للخطر القادم ، فكانت الفاجعة عندما تحالف بعض هؤلاء الأمراء مع المغول ضد الإمارات الأخرى الإسلامية .

ففى الوقت الذى وصلت فيه فتوحات المغول إلى قرب حدود الشام كان الأمراء الأيوبيون فى نزاع فيما بينهم على إمارات الشام والجزيرة ومصر ، فبعد زوال الخطر الصليبى عن مصر سنة ١٢٢١ م ظل « الأشرف » مع « الكامل » فى مصر .

وأحسّ « المعظم » صاحب دمشق بأنه يقع تحت ضغط أخويه فى مصر والجزيرة ؛ فحرص على أن يثير لهما المتاعب فى الشام والجزيرة ؛ فهاجم « حماة »

و « حمص » وتحالف مع « كوكبورى » صاحب « أربل » بموافقة الخليفة العباسى « الناصر لدين الله » ، كما تحالف مع أميرى « ماردين » و « كيفا » الأرتقيين ؛ لمناهضة الأشرف ، وشجع أخاه « الغازى » الذى ينوب عن الأشرف فى إمارة « أخلاط » على إعلان التمرد على الأشرف ، لكن الأشرف قمع حركة التمرد فلم يسع الغازى إلا الالتجاء إلى دعوة جلال الدين خوارزم شاه لقتال أخويه الأشرف والكامل ، فاستنجد الأشرف بالسلطان السلجوقى « كيقباذ الأول بن كيخسرو » لقتال الأراتقة .

واستولى جلال الدين خوارزم شاه على أخلاط سنة ١٢٣٠ م بعد عدة حروب مع أهلها ، ثم تحالف « علاء الدين بن كيقباذ الأول » ، و « الأشرف » ضد « جلال الدين خوارزم شاه » واستعاد الأشرف « أخلاط » فى نفس السنة .

ولم تكد أملاك الأيوبيين تتخلص من تهديد جلال الدين خوارزم شاه حتى ظهر من جديد خطر المغول .

ففى شتاء ١٢٣٠ - ١٢٣١ م بادر المغول بالمضى إلى بلاد جلال الدين خوارزم شاه ؛ فاستولوا على « الرى » ، و « همذان » وما بينهما ، ثم قصدوا أذربيجان ، وأنزلوا الخراب والدمار بكل أرجاء البلاد .

أما جلال الدين فبعد أن حلت به الهزائم على أيدى المغول قتله بعض الأكراد سنة ١٢٣١ م ولما قتل دخل جماعة على الأشرف موسى فهنأوه بموته ، فقال : « تهنئوننى به ، وتفرحون . سوف ترون غبة . والله لتكونن هذه الكسرة سبباً لدخول التتار إلى بلاد الشام . ما كان الخوارزمى إلا مثل السد الذى بيننا وبين يأجوج ومأجوج » .

وبعد أن أصبحت كل فارس فى قبضة المغول صار متوقعاً إقدامهم على غزو بلاد الخليفة العباسى فى العراق العربى ، وحينما علم الخليفة المستنصر بالله أن المغول يقصدون مهاجمة بغداد ، وذلك سنة ١٢٣٧ م ، بعث إلى السلطان الكامل بمصر يطلب منه إعداد جيش للخليفة مكون من عشرة آلاف جندى للدفاع عن بغداد .

وزحف المغول على دولة السلاجقة المسلمة فهرب غياث الدين (كيخسرو الثانى ابن كيقباذ الأول) إلى الحدود البيزنطية ، فتوجه وزيره إلى الأمير المغولى ووقع معه معاهدة ، تقضى باستمرار بقاء الدولة السلجوقية مقابل أن تؤدى ما هو مقرر عليها من الجزية للمغول ، وترسل الإمدادات اللازمة لجيشهم ، كلما طلبوا منها ذلك . فيالها من خسة ونذالة وخيانة يتحالف فيها وزير وشعب مسلم مع أعدائهم ضد باقى الدول الإسلامية نظير بقاء دولتهم .

بعد ذلك قاد « هولاكو » قائد المغول والتتار بنفسه الجيش المتوجه لغزو مقر الخلافة العباسية الإسلامية ببغداد ، وكان المستعصم بالله (١٢٤٢ – ١٢٥٨) م هو الخليفة فى ذلك الوقت ، وكان هذا الخليفة يتصف بالضعف ولين الجانب ، وقلة الخبرة بأمور المملكة وضعف الشخصية وسيطرة أصحابه عليه ، كما أنه كان منشغلاً عن أمور الخلافة بسماع الأغانى ، والتفرج على الملاهى والمساخر ، وشراء الراقصات والجوارى ، وشرب الخمر .

كما كانت الثقة بينه وبين قادة جيشه متعدمة ، وكان بإمكانه أن يحشد ١٢٠ ألف مقاتل ؛ لمواجهة المغول ، لكن وزيره الشيعى « مؤيد الدين بن العلقمى » الخائن أشار عليه بأن يخفض عدد الجيش ، ويحمل إلى المغول متحصل إقطاعاتهم وبذا يتجنب خطر المغول فخفض عدد الجيش إلى حوالى عشرين ألفاً وأدى ذلك لضعف الجيش وطمع المغول فى ثروة الخلافة .

وكان مؤيد الدين بن العلقمى على عداوة مع كاتب الخليفة السنى « مجاهد الدين أيبك الداوادار » وكان ابن الخليفة وولى العهد « أبو بكر » يساند ، ويؤيد « مجاهد الدين أيبك » .

وفى عام ١٢٥٧ م اشتعلت الفتنة بين السنية والشيعة على جارى عادتهم فأمر أبو بكر ابن الخليفة المستعصم ، وركن الدين الداوادار العسكر ، فنهبوا « الكرخ » مركز تجمع الشيعة ، وهتكوا أعراض النساء ، فعظم ذلك على ابن العلقمى الشيعى ، فكاتب التتار ، وأطمعهم فى ملك بغداد ، ثم أرسل إليهم أخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد فى جحفل عظيم .

اتجهت الجيوش المغولية إلى بغداد فى نوفمبر سنة ١٢٥٧ م ، واجتازت الموصل فى طريقها إلى بغداد ، وكان التتار قد كاتبوا « بدر الدين لؤلؤ » (صاحب الموصل المسلم والمتواطئ مع التتار على شعبه المسلم) فى تهيئة الإقامة والسلاح ، فأمدهم بعسكر من عنده ، ووصل للمغول أيضاً إمداد آخر من مغول القبجاق ، والكرج .

وكان الخليفة المستعصم ينتظر وصول الجيش الذى طلبه من الأيوبيين فى الشام والمماليك فى مصر ، وينتظر أيضاً أن تعلن إيران وتركستان التمرد على المغول ، ولكن أحلامه هذه قد تبددت ، وتلاشت تحت أقدام الجيش المغولى .

زحف هولاكو على بغداد فى يناير سنة ١٢٥٨ م وخرج جيش الخليفة لمواجهته ، بناء على أوامر « الداوادار » الذى فضل الجهاد على الاستسلام والخضوع لكن المغول قطعوا السدود والجسور فغمرت المياه الأراضى الواقعة وراء جيش الخليفة ، ثم هاجموهم فلقى اثنا عشر ألف مقاتل من جيش الخليفة مصرعهم ، ولاذ الباقون بالفرار إلى الشام ، وتركوا الدفاع عن المدينة وحاول الخليفة استمالة المغول فأنفذ إليهم وزيره الشيعى ابن العلقمى ، وجاثليق المسيحيين النساطرة « ماكيخا » ؛ نظراً لما كان للمغول الترك والنساطرة من نفوذ عند هولاكو ، ولكن هذه السفارة لم تستطع إثارة عطف هولاكو ورحمته على الخليفة حيث أصر على غزو بغداد .

وفى ١٠ فبراير عام ١٢٥٨ م قدم الخليفة على هولاكو الذى طلب منه أن يصدر أوامره إلى جميع السكان بالخروج من المدينة وإعلان الإذعان برفع أيديهم إلى أعلى فصاروا يخرجون إلى المغول طائفة بعد طائفة ، فلما تكاملوا قتلهم عن آخرهم ، إلا أن جانباً من السكان لم ينفذوا ما صدر إليهم من أوامر ، فلما دخل المغول المدينة طاردوهم وأجروا فيهم مذبحة جماعية ثم أشعلوا الحرائق فى المدينة ، ونهبوها ، واستباحوها لمدة سبعة أيام ، ثم شرعوا فى قتل الشيوخ ، والأطفال والنساء ودام القتل والنهب فى بغداد نحو أربعين يوماً واحترقت المساجد والمدارس ونبشت القبور على أيديهم .

ودخل هولاكو قصر الخليفة العباسى وأمر بإحضاره ؛ فمثل أمامه وهو يرتعد من شدة الخوف ، وأمره هولاكو أن يدلهم على مكان الكنوز والنفائس الموجودة بالقصر ، فقدم له الخليفة كثيراً من الثياب الفاخرة والمجوهرات وألوف الدنانير ، فلم

يلتفت إليها هولاكو وأمر جنده بأخذها غنيمة وقال للخليفة : هذه تملكها على سطح الأرض ، وأمرها واضح ، نريد أن تدلنا على ما خفي من الثروة ؛ فاعترف الخليفة بوجود حوض بداخل القصر مملوء بالذهب فلما حفروا وجدوه مملوءاً بالذهب الأبريز كل قطعة منه تزن مائة مثقال ، وأمر هولاكو بإحصاء عدد نسائه وخدمه ، فوجدهم سبعمائة امرأة من أجمل النساء ، وألفاً من الخدم .

وبكى الخليفة ، وهو يتضرع إلى هولاكو ، ويقول له : امنحني تلك النسوة اللائي لم يكن يطلع عليهن ضوء الشمس ولا نور القمر .

ثم في اليوم التالي لما قال الخليفة إنه جائع ، طلب له هولاكو طبقاً مملوءاً بالذهب وقال له :كل هذا الذهب ، لماذا كنزت هذا الذهب ولم توزعه على شعبك كي يحمي ملكك ؟ لماذا لم تحول حديد قصورك إلى رماح تسددها إلى صدورنا ؛ لتحمي شعبك ؟ لماذا لم تعبر إلينا نهر جيحون وتدفعنا قبل أن ندهم أرضك وننهب شعبك ؟ لماذا احتفظت لنفسك بالمئات من أجمل النساء وحبستهن على نفسك فلم يطلع عليهن ضوء الشمس ولا نور القمر وانشغلت بهن عن مصالح شعبك ؟

ثم أمر هولاكو بوضعه في غرارة (جوال أو كيس) ، وأمر جنوده أن يركلوه بالأرجل ، ويلعبوا به الكرة ؛ حتى لقي حتفه داخل الجوال .

وبعد سقوط بغداد أرسل هولاكو رءوس الوزراء ببغداد إلى « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل والمتواطئ مع المغول ، فعلقها على أسوار مدينة الموصل ، ولم يكتف بذلك بل إنه توجه إلى هولاكو وقدم له التهنئة على استيلائه على بغداد .

وجاء أيضاً إلى هولاكو كل من أتابك فارس والأخوين عز الدين كيكاوس الثاني ، وركن الدين قلج أرسلان الرابع ، اللذين اقتسما سلطنة السلاجقة بآسيا الصغرى ؛ ليقدموا لهولاكو التهنئة ، رغم أنهم من الأمراء المسلمين ، ووصل الأمر بعز الدين إلى أنه أظهر الندم ، وألح في طلب العفو من هولاكو ؛ لأنه سبق أن حاول التمرد على القائد المغولي « بايجو » ، فعفا عنه هولاكو وأقره على ملكه .

وعندما اقترب خطر المغول من الشام التي استقر حكمها للناصر يوسف الأيوبي ، أعلن الناصر ولاءه للمغول ، فأرسل في سنة ١٢٥٨ م ابنه العزيز ومعه عدد من الأمراء

إلى هولاكو ، وطلبوا منه أن يساعد الناصر فى استخلاص مصر من أيدى المماليك .

لكن هولاكو كان مصراً على تنفيذ الخطة التى وضعها « مونكو » أحد خلفاء جنكيزخان والتى تقضى بإخضاع الشام ومصر للحكم المغولى .

وأصر هولاكو على قتال الأيوبيين بأعالى الجزيرة ، رغم مبادرة الأمراء الأيوبيين بإعلان الولاء لهولاكو فأنفذ حملة لقتال الكامل محمد بن شهاب الدين غازى الأيوبى ، صاحب « ميا فارقين » ، الذى رفض الاعتراف بسيادة المغول .

وسقطت « ميا فارقين » فى أيديهم فى أوائل سنة ١٢٦٠ م بفضل مساعدة الوحدات العسكرية من الكرج والأرمن المسيحيين لهولاكو ، ودارت مذبحة فى السكان المسلمين بينما لم يتعرض المسيحيون لشىء من الأذى إذ إن هولاكو كان يعتبرهم حلفاء ومناصرين له .

وبلغ من تعذيب المغول للكامل أنهم أخذوا يقتطعون أجزاء من جسمه ، ويرغمونه على تناولها ، حتى لقى حتفه آخر الأمر ، ورفعوا رأسه على رمح وطافوا به أنحاء البلاد .

ثم استولوا على حلب ، فلما علم الناصر يوسف هرب من دمشق بمن معه من العسكر إلى مصر ، وفى صحبته المنصور الثانى صاحب « حماة » الذى هرب منها أيضاً عندما هاجمها المغول تاركين شعوبهم عزلاً بدون سلاح نهباً وفريسة للمغول ، مما اضطر أعيان حماة لأن يعلنوا إذعانهم لهولاكو ، فأعطاهم وأهل المدينة الأمان وعين عليهم « خسروشاه » والياً وكان من الفرس .

ولخوف أهل دمشق أن يحل بهم من الدمار والخراب مثلما حل بسائر المدن الإسلامية الأخرى توجه وفد من الشيوخ والأعيان للاجتماع بكتبغا وقبل ما أظهروه من الولاء والخضوع .

وتولى إدارة دمشق حاكم مغولى ، لكن والى قلعة دمشق رفض الخضوع والاستسلام وفضّل الجهاد هو وجنوده ، فقتلهم كتبغا فى مارس سنة ١٢٦٠ م بعد أن حاصر القلعة ونصب عليها المجانيق فاستسلمت للمغول ، فكان موقف والى قلعة دمشق وجنوده أكثر شرفاً من موقف حاكمه الناصر الذى ترك المدينة وهرب ، وموقف أهل

دمشق الذين فضلوا الاستسلام والخضوع على الجهاد ، فياليتهم فضلوا الجهاد والاستشهاد ومقاومة المغول ولو بالعصي والحجارة على أن يخضعوا ويستسلموا ، فإن ذلك كان فيه الذلة والمهانة لهم ، فعندما دخل المغول دمشق أعلن المسيحيون بها التمرد ولم يخفوا فرحتهم بما حل بالمسلمين من نكبة ولم يخف « كتبغا » ما يكنه من الميل نحو هؤلاء الصليبيين .

ويشير « المقريزى » إلى أن النصارى بدمشق استطالوا على المسلمين واستطاعوا الحصول من هولاكو على فرمان يقضى بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم ؛ فتظاهروا بشرب الخمر فى نهار رمضان ورشوه على ثياب المسلمين فى الطرقات وصبوه على أبواب المساجد ، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم ، وأهانوا كل من كان يمتنع عن القيام للصليب ، وصاروا يمرون به فى الشوارع إلى كنيسة مريم ، ويقفون ويخطبون فى الطرقات ، ويثنون على دينهم وقالوا جهراً : « ظهر الدين الصحيح : دين المسيح » .

فقلق المسلمون من ذلك ، وشكوا أمرهم لكتبغا ، نائب هولاكو ، فأهانهم وضرب بعضهم ، وعظم قدر قسوس النصارى ونزل إلى كنائسهم وأقام شعائرهم وجمع « الزين الحافظى » ـ الذى قام بأمر دمشق للمغول ـ من الناس أموالاً جزيلة واشترى بها ثياباً وقدمها لكتبغا وسائر أمراء المغول وواصل حمل الضيافات إليهم فى كل يوم مما أثار غضب المسلمين .

وعزم المغول على غزو مصر ، وكان المماليك قد تولوا الحكم فيها بعد القضاء على الحكم الأيوبى فيها واستقر ملك مصر فى نهاية الأمر للسلطان « قطز » المملوكى .

وفى أوائل يناير سنة ١٢٦٠ م وجه هولاكو سفارة إلى مصر تطلب من السلطان قطز التسليم والإذعان وكان نص الرسالة ما يلى :

« من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، القان الأعظم ، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء ، يعلم الملك المظفر قطز الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ؛ فتندموا ، ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ولا نرق لمن شكى ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا الطلب ، فأى أرض تأويكم وأى طريق تنجيكم وأى بلاد تحميكم ؟ فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع فإنكم أكلتم الحرام ، ولا تعفّون عند الكلام ، وخنتم العهود والأيمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان ، فأبشروا بالمذلة والهوان .

﴿ فاليوم تُجزون عذابَ الهُونِ بما كُنتم تستكبرون فى الأرضِ بغيرِ الحقّ وبما كنتم تفسُقون ﴾ [الأحقاف : ٢٠]

﴿ وسيعلمُ الذين ظلموا أىّ مُنقلبٍ ينقلبون ﴾ [الشعراء : ٢٢٧]

فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم ، فلكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، وإن خالفتم هلكتم ، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم فقد حذر من أنذر .

وقد ثبت عندكم أنا نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة ، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدّرة والأحكام المدبّرة .

فكثيركم عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل ، وبغير الإهانة ما لملوككم عندنا سبيل ، فلا تطيلوا الخطاب ، وأسرعوا برد الجواب قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمى نحوكم شرارها ؛ فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً ، ولا كافياً ، ولا حرزاً ، وتدهون منا بأعظم داهية وتصبح بلادكم منكم خالية ، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم ، وأيقظناكم إذ حذرناكم ، فما بقى لنا مقصد سواكم .

والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى ، وخشى من عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى .

ألا قُلْ لمصرها هلاون قد أتى بحدّ سيوفٍ تنتضى وبواترِ
يصير أعزّ القوم منها أذلةً ويلحقُ أطفالاً لهم بالأكابرِ »

.. انتهى نص رسالة هولاكو لقطز .

واجتمع قطز بالأمراء المماليك ، للتشاور معهم فى الأمر واجتمع أيضاً بصاحب حماة ، وصاحب الكرك الأيوبيين ، وكان عازماً على الجهاد ، فكان حديثه إلى الأمراء الذين أظهروا التردد فى الجهاد أن قال لهم :

« يا أمراء المسلمين : لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبنى ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته ، فإن الله مطّلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين » .

وأشار إلى أنه سيلقى التتار ، ويحاربهم ولو بمفرده ، وقرر قتل الرسل وعلقهم على باب زويلة ، وهذه الحماسة نجدها أيضاً فى بيبرس الذى وقف أثناء وجوده مع المماليك البحرية المنفيين فى الشام زمن السلطان أيبك عندما اتهم أمراء المسلمين بالتخاذل والخوف والوجل من قتال هولاكو مما أدى إلى هلاك المسلمين ، وقرر العودة إلى مصر ، كى يسهم فى قتال المغول مع الجيش الذى يعده قطز لذلك .

وخرجت طلائع الجيوش المصرية بقيادة بيبرس وتبعهم بقية الجيش بقيادة السلطان قطز ؛ ليدور صراع رهيب عند عين جالوت سنة ١٢٦٠ م سحق فيه المصريون ، ولأول مرة ، جحافل المغول ، وأسروا قائدهم ، وقتلوه وتتبعوا فلولهم ؛ حتى طردوهم من الشام ، وعبروا خلفهم نهر الفرات ، وعلى الضفة الأخرى من النهر خرّ المصريون لله ساجدين .

وبهزيمة المغول قطعت الإمدادات عن جيوشهم المتوغلة فى أوربا فتوقفت وأسرعت هذه الجيوش بإعلان إسلامها ، وتحالفت مع المصريين ضد بقية المغول ، ثم سكنوا فى جنوب روسيا فى منطقة بحر قزوين ، ثم بدأت دولة المغول تضعف شيئاً فشيئاً ، حتى انطفأت وذابت فى كثافة الشعوب الآسيوية كأنها لم تكن .

ولو راجعنا حال المسلمين وحكامهم عندما أغار عليهم يأجوج ومأجوج (أو التتار والمغول) كما أطلق عليهم فى كتب التاريخ ، فسنجد أن الخبث الذى أخبرنا به النبى

ﷺ أنه سيكون منتشراً عند خروجهم كان منطبقاً عليهم فى ذلك الوقت ، فالخبث هو الغدر والخيانة ، وفعل المنكرات وإتيان الفواحش والظلم ، والتكبر والخوف والهوان والاستسلام والجبن ، وقبول الذل والمهانة على الجهاد والاستشهاد .

وقد وجدنا أن حكام المسلمين كانوا فى عداوات فيما بينهم ، وكل منهم يطمع فى أن يكون هو الحاكم الأوحد المتحكم فى كل الأمور ، وكان الأخ يحارب أخاه ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى التحالف مع التتار ضد أخيه وشعبه المسلم .

وكان معظم هؤلاء الحكام مستبدين ظلمة ، فسقة ، ضعفاء ، ووصل ببعضهم من الخسة والنذالة إلى أنه كان يفر مع قواده وجيشه من بلاده تاركاً إياها نهباً وفريسة للتتار والمغول ، بل منهم من كان يضم جيوشه إلى جيوش التتار ، ويساعدهم فى غزو البلاد الإسلامية وقتل أهلها وتدميرها .

كما وجدنا أن الشعوب الإسلامية كانت منغمسة فى الشهوات وفعل المنكرات.

ومن يراجع أحوال المسلمين الآن فسيجد أن التاريخ يعيد نفسه وأن المسلمين لا يتعظون ، ولا يعتبرون بقصص التاريخ ، فقد عاد الخبث للانتشار من جديد فى الدول الإسلامية فى الوقت الذى يخطط ويدبر فيه يأجوج ومأجوج العصر الحديث وأعداء الإسلام وهم اليهود والأمريكان ودول غرب أوربا وروسيا ؛ للانقضاض علينا والنيل منا ، فتجد الشعوب الإسلامية غارقة فى الخلافات فيما بينها ، وغارقة فى الملذات والشهوات والحفلات والسهرات وقد فرطت فى حقوقها واستسلمت لأعدائها ، وكل منهم قد أهب نفسه للحرب ، ولكن للأسف الشديد ليس لمحاربة عدوه ، ولكن لمحاربة أخيه المسلم أو لمساعدة الغرب والأمريكان والروس فى فرض الحصار الاقتصادى عليه .

فإذا لم نأخذ العبرة والموعظة من الأحداث الماضية فى التاريخ فسيكون مصيرنا نفس مصير آبائنا الأولين ، وسيرسل الله علينا من يذيقنا العذاب ضعفين فما دمنا لم نرحم أنفسنا ؛ فلن يرحمنا عدونا ولن يرحمنا الله .

إن حالنا يحتاج إلى أن نعي دروس الماضى جيداً ، ونعيد حساباتنا ، ونوحد كلمتنا ، ونبذ خلافاتنا قبل أن يقع المحظور فلا ينفعنا الندم .

هدم سد يأجوج ومأجـوج وخروج التتار والمغول من ورائه علامة من العلامات الصغرى للساعة :

للساعة أمارات وعلامات صغرى وكبرى ، والعلامات الصغرى للساعة تزيد عن المائة علامة ذكرها النبى ﷺ فى أحاديث متعددة ، ومعظم هذه العلامات قد تحقق حتى الآن ، وفيما يلى نبذة مختصرة عن هذه العلامات ، وما تحقق منها ، وما سيتحقق بمشيئة الله :

١ - موت النبى ﷺ :

قال ﷺ : « بعثت أنا والسـاعة كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى » .

ـ رواه البخارى .

أى : أن النبى ﷺ أشار فى هذا الحديث إلى أن السـاعة ستكون قريبة جداً من بعثته ، وأنه أولى العلامات الصغرى للساعة ويؤكد هذا قوله ﷺ فى حديث آخر .

« اعدد ستاً بين يدى الساعة : موتى ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار ؛ فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً » .

ـ رواه البخارى

٢ - كثرة الفتن :

قال ﷺ : « إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى » . ـ رواه مسلم

وقال ﷺ : « يكون بين يدى السـاعة فتن كقطع الليل المظلم ؛ يصـبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصـبح كافراً ، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا » .

ـ رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وما أكثر الفتن التي تحيط بنا الآن من كل جانب : فتن في الشارع ، وفتن في البيت ، وفتن في العمل ، وفتن بين الشعوب ، وبين الإخوة ، وفتن بين الزوج والزوجة ، والأب وأولاده ، وفتن الرأسمالية والعلمانية ، والشيوعية ، وفتن الحضارة والتطور التكنولوجي ، وفتنة حب جمع المال بأي طريقة ووسيلة ، حتى ولو كان بالتجارة غير المشروعة أو ببيع أعضاء من جسم الإنسان ... إلخ . وجميعها فتن جعلت كثيراً من الناس يصبحون وهم يظنون أنهم مؤمنون وجميع أعمالهم لا تدل إلا على الكفر من كثرة ما يحيط بهم من الفتن .

٣ - كثرة الزلازل :

قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ... وتكثر الزلازل .. » .

رواه البخاري .

وخلال السنوات القليلة الماضية كثرت الزلازل بصورة ملحوظة ، فخلال الفترة من عام ٨٥٦ إلى ١٨٩٧ م أي : خلال أكثر من ألف عام لم يقع سوى ٩ زلازل مدمّرة بالإضافة إلى زلازل أخرى ولكنها لم تكن مدمرة .

وخلال القرن العشرين وحده (أي : خلال المائة سنة الماضية) حدثت المئات من الزلازل الشديدة ، وكان أكثرها تدميراً حوالي ٣٠ زلزالاً أما خلال عام ١٩٩٢م وحده فقد وقع ٩٠ زلزالاً ، منها ما كان شديداً ومنها ما كان متوسطاً أو ضعيفاً .

٤ - كثرة الشح عند الناس واتباع الأهواء والشهوات وتعصب كل شخص لرأيه حتى ولو كان باطلاً :

قال ﷺ : « إذا رأيت هوى مُتّبَعاً ، وشُحاً مطاعاً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فانتظر الساعة » .

٥ - ذهاب العلم الديني وظهور الجهل (بعودة العادات الجاهلية الأولى ، ككثرة القتل ، والمتاجرة بالنساء ، واتخاذ الأرقاء والعبيد ، وزواج المتعة واللواط والسحاق ... إلخ) وانتشار الزنا وشرب الخمر وقلة الرجال وكثرة النساء (بسبب كثرة

الحروب التى تقضى على أعداد كبيرة من الرجال ، وتُرمِّل النساء) :

قال رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، والزنا ، وشرب الخمر ، وتقل الرجال ، وتكثر النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » . – رواه البخارى ومسلم

٦ – تولّى الأحمق واللئيم والانتهازى المنافق للمناصب العليا ، أو توليتها للرجل قليل الخبرة ، أو لمن لا يستحقها بسبب المحسوبيات والمجاملات والوساطة :

قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » . – رواه أحمد ، والترمذى

واللكع : هو اللئيم الأحمق .

وسأل أعرابى رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ فقال : « إذا ضُيِّعت الأمانة ، فانتظر الساعة » .

قال الأعرابى : يا رسول الله ، وكيف إضاعتها ؟ فقال : « إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله » . – رواه البخارى

٧ – اضطهاد الصالحين ، وعدم تمسك الناس بدينهم :

قال ﷺ : « يأتى على الناس زمانٌ ، الصابر على دينه كالقابض على الجمر » .

– رواه الترمذى

وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يذهب الصالحون الأول فالأول ، وتبقى حثالة ، كحثالة الشعير أو التمر » . – رواه البخارى وأحمد

٨ – انتشار اللواط بين الرجال والسحاق بين النساء :

قال ﷺ : « من أشراط الساعة ... وأن تكتفى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء .. » . – رواه الطبرانى

ولعل ما يدعو إليه مؤتمر السكان ، ومؤتمر المرأة اللذان انعقدا تحت إشراف الأمم

المتحدة من تحليل زواج الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، هو أكبر دليل على انتشار اللواط والسحاق ، ومحاولات إضفاء الشرعية على هذه العلاقة المحرمة ، خاصة فى المجتمعات الغربية .

٩ – أن يصير الحفاة العراة رعاة الشاة ملوك الأرض وأصحاب المبانى الشاهقة والقصور الفخمة :

قال ﷺ : « إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان ، فانتظر الساعة » . ـ رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية أخرى : « ... وترى الحفاة العراة صاروا ملوكاً ... » .

ـ رواه أبو نعيم فى الحلية .

١٠ – ظهور المبانى العالية الفخمة (الأبراج) :

قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ... وحتى يتطاول الناس فى البنيان ... » .

ـ رواه البخارى .

١١ – كثرة القتل بين الناس والأمم والشعوب والجماعات :

قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ... ويكثر الهرج وهو القتل .. » .

ـ رواه البخارى .

١٢ – كثرة المطربين ، والمطربات ، والراقصين ، والراقصات ، وانتشار أدوات الغناء واللهو :

قال ﷺ : « من أشراط الساعة .... وتظهر المعازف والكبور ... » .

ـ رواه البيهقى .

وفى رواية أخرى : « ... واتخذت القيان والمعازف ... » .

ـ رواه أبو نعيم فى الحلية .

وفي رواية ثالثة : « ... وظهرت القينات [١] والمعازف [٢] ... » رواه الترمذي .

١٣ - إضاعة الصلاة وقلة الزكاة ، وتصديق الخائن ، وتكذيب الصادق ، وإذلال المؤمن ، وظهور الأمراء الفسقة ، والوزراء الفجرة ، وحج الناس للكعبة من أجل اللهو والرياء والتفاخر ، وكساد التجارة في الأسواق .....إلخ :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : حج النبي ﷺ حجة الوداع ، ثم أخذ بحلقة الكعبة ، فقال : « أيها الناس ، ألا أخبركم بأشراط الساعة ؟ » ، فقام إليه سلمان فقال : أخبرنا ، فداك أبي وأمي يا رسول الله . فقال :

« من أشراط الساعة : إضاعة الصلاة ، والميل مع الهوى وتعظيم رب المال » . فقال سلمان : ويكون هذا يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، والذي نفس محمد بيده فعند ذلك يا سلمان تكون الزكاة مغرماً ، والفيء مغنماً ويصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ويتكلم الرويبضة » . قالوا : وما الرويبضة ؟ قال : « يتكلم في الناس من لم يكن يتكلم وينكر الحق تسعة أعشارهم ، ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا رسمه ، وتحلى المصاحف بالذهب ، ويتسمن ذكور أمتي وتكون المشورة للإماء ، ويخطب على المنابر الصبيان ، ويكون المخاطبة للنساء ، فعند ذلك تزخرف المساجد ، كما تزخرف الكنائس ، وتطول المنابر ، وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة ، وألسن مختلفة وأهواء جمة » .

قال سلمان : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، والذي نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة ، يذوب قلبه في جوفه ، كما يذوب الملح في الماء ، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره ، ويكتفي الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية البكر ، فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة ، ووزراء فجرة ، وأمناء خونة ، يضيعون الصلاة ، ويتبعون الشهوات ، فإن أدركتموهم فصلوا صلاتكم لوقتها ، عند ذلك يا سلمان يجيء سبي من المشرق ، وسبي من المغرب ، جثاؤهم جثاء الناس ، وقلوبهم قلوب الشياطين ، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً . عند ذلك يا سلمان يحج الناس إلى هذا

---

(١) القيان والقينات : المطربون والمطربات والراقصون والراقصات .

(٢) المعازف : أدوات العزف والغناء والطرب واللهو .

البيت الحرام ويحج ملوكهم لهواً وتنزهاً ، وأغنياؤهم للتجارة ، ومساكينهم للمسألة ، وقراؤهم رياء وسمعة » .

قال : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، والذى نفسى بيده عند ذلك يا سلمان يفشو الكذب ، ويظهر الكوكب ذو الذنب ، وتشارك المرأة زوجها فى التجارة ، وتتقارب الأسواق » . قال : وما تقاربها ؟ قال : « كسادها وقلة أرباحها . عند ذلك يا سلمان يبعث الله ريحاً فيها حيات صفر ؛ فتلتقط رءوس العلماء لما رأوا المنكر فلم يغيّروه » . قال : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، والذى بعث محمداً بالحق » .

١٤ – كثرة عساكر الشرطة ، وفساد حالهم :

قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة ... وكثرت الشرط (عساكر السلطة) ..... » . ـ رواه أبو نعيم فى الحلية .

وعن أبى أمامة قال :

قال ﷺ « سيكون فى آخر الزمان شرطة يغدون فى غضب الله ، ويروحون فى سخط الله ، فإياك أن تكون من بطانتهم » .

١٥ – ظهور الأئمة المضلين ، وما أكثرهم فى هذه الأيام :

قال رسول الله ﷺ : « إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع إلى يوم القيامة » .

ـ رواه أبو داود وابن ماجه .

وعن على ـ كرم الله وجهه ـ قال عن اقتراب الساعة : « إذا كثر خطباء منابركم وركن علماؤكم إلى ولاتكم ، فأحلّوا لهم الحرام ، وحرّموا عليهم الحلال ، فأفتوهم بما يشتهون » . ـ رواه الديلمى .

١٦ – اثنتان وسبعون علامة :

عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ :

« من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة : إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، واستخفوا بالدماء ، واستعلوا بالبناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ، ويكون الحلْم ضعفاً والكذب صدقاً والحرير لباساً ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وائتمن الخائن ، وخُوّن الأمين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظاً ، والولد غيظاً ، وفاض [1] اللئام فيضاً ، وغاض [2] الكرام غيضاً ، وكان الأمراء فجرة ، والوزراء كذبة ، والأمناء خونة ، والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ؛ إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم أنتن من الجيفة ، وأمرّ من الصبر ، يغشيهم الله فتنة يتهاوكون [3] فيها تهاوك اليهود الظلمة ، وتظهر الصفراء (يعنى : الدنانير) وتطلب البيضاء (يعنى : الفضة) ، وتكثر الخطباء ، ويقل الأمر بالمعروف ، وحليت المصاحف ، وصورت المساجد ، وطولت المنابر ، وخربت القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود [4] ، وولدت الأمة ربتها ، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكاً ، وشاركت المرأة زوجها فى التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وحلف بغير الله ، وشهد المرء من غير أن يستشهد ، وسلم للمعرفة ، وتفقه لغير دين الله ، وطلب الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه وجفا أمه ، وبرّ صديقه ، وأطاع امرأته ، وعلت أصوات الفسقة فى المساجد ، واتخذت القينات والمعازف ، وشربت الخمور فى الطرق ، واتخذ الظلم فخراً ، وبيع الحكم ، وكثرت الشرط (عساكر السلطة) ، واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع صفاقاً ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، وخسفاً ، ومسخاً ، وقذفاً ، وآيات » – رواه أبو نعيم فى الحلية .

(وهذا الحديث له شواهد أخرى من أحاديث صحيحة تقويه وتشد من أزره) .

---

(١) فاض : كثر . (٢) غاض : قل . (٣) يتهاوكون فيها : يقعون فيها بلا مبالاة .

(٤) عطلت الحدود : أى : عطل العمل بالشريعة الإسلامية فى الحدود كحد الرجم للزانى ، وقطع يد السارق .. إلخ .

وروى علي ـ كرم الله وجهه ـ مثل هذا الحديث مع بعض الزيادات نذكر منها :

قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة : إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة ... ونقضت الشهور ... ونقضت المواثيق ... وصارت الإمارات مواريث (صار الحكم بالوراثة) ... وصعدت الجهّال المنابر ... وصارت أموالكم عند شراركم ... ولعبتم بالميسر ... وطففت المكاييل والموازين ... ووليت أموركم السفهاء » .

ـ رواه أبو الشيخ ، وعويس ، والديلمى ، كلهم عن على ـ كرم الله وجهه [١] .

ولنقارن الآن بعض ما ورد بالحديث من صفات بحال المسلمين فى هذه الأيام ؛ حتى يتم النفع بالحديث :

قوله ﷺ : « أضاعوا الصلاة » ، أى : تركوها أو أخلوا بشيء من أركانها وواجباتها ، وقليل من المسلمين الآن من يؤدى الصلاة أو يحافظ عليها فى مواقيتها .

قوله ﷺ : « أضاعوا الأمانة » ، أى : فرطوا فى الودائع والأسرار ، وأداء الأعمال التى يؤتمنون على القيام بها ... إلخ . واليوم كثيراً ما نقرأ ونسمع عن شركات نهبت أموال المودعين ، وقادة عسكريين أو مدنيين يفشون أسرار بلادهم إلى عدوهم مقابل المال ، ورؤساء شركات وبنوك يستغلون مواقعهم وسلطاتهم فى الاستيلاء على أموال الناس بطرق غير مشروعة ، وموظفين يهملون فى أداء أعمالهم وواجباتهم المكلفين بها ، فكل هذه الصور وغيرها أنماط من التفريط فى الأمانات .

« وشيدوا البناء » ، أى : طوّلوه ببناء الأبراج والعمارات الشاهقة ، وما أكثرها .

« واتبعوا الهوى » ، أى : ما تهواه أنفسهم من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة المخالفة للدين والأخلاق .

« وأكلوا الربا » ، من طريق منح القروض لأجل بفائدة .

« وكثر الطلاق » ، أو « تهاونوا بالطلاق » فى حديث على ، أى : يحلفون بالطلاق كثيراً ولا يبالون بوقوعه .

---

(١) نقلاً عن « الإشاعة لأشراط الساعة » : البرزنجى ـ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

« موت الفجأة » ، مثل : ما يحدث من موت فجائى بالسكتة القلبية ، أو جلطة الدم أو حادث قطار أو سيارة أو طائرة ..... إلخ .

« وكثر القذف » ، وهو السب والتلاعن بين الناس .

« فاض اللئام فيضاً وغاض الكرام غيضاً » ، أى : كثر اللئام ، وقل الكرام .

« والولد غيظاً » ، أى : غيظاً لوالديه ؛ بسبب عقه لهما ، وبسبب غلاء المعيشة الذى أدى إلى ارتفاع تكاليف الزواج ؛ مما يثقل كاهل والديه لمساعدته فى بناء بيت وأسرة .

« وعطلت الحدود » ، أى : أوقف العمل بحدود الله ؛ كحد السارق ، والزانى ، والقاذف .

« وولدت الأمة ربتها » : وهذا كان يحدث فى الماضى عندما كان الأمراء والملوك والأغنياء يتخذون إماءً يجامعونهن ويلدن لهم ، ويصبح المولود أو المولودة سيدة للأمة التى هى فى الحقيقة أمها .

ويحدث فى هذه الأيام عن طريق أطفال الأنابيب ، ففى الدول الأوربية يحدث أن بعض الأغنياء المصابين بالعقم ويرغبون فى الإنجاب يأخذون منيّهم وبويضة الخادمة ويضعونها فى أنبوبة داخل رحم الخادمة مدة تسعة أشهر وبعد الولادة ينسب الطفل إلى الزوجين مقابل مبلغ من المال للخادمة وبعد ذلك يصبح الطفل (أو الطفلة) سيداً (أو سيدة) للخادمة ، وهى فى الحقيقة أمهما .

« وشاركت المرأة زوجها فى التجارة » ، أى : زاحمته فى ميادين العمل أو تصبح شريكاً له فى تجارته ، إما بسبب إصرارها على منافسته ، والمساواة به ، أو بسبب احتياج الزوج لتعاونها معه للمشاركة فى نفقات المنزل ؛ بسبب الغلاء الفاحش للأسعار .

« وتشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال » ، أى : يرتدى الرجال زياً مثل زى النساء ، أو يتصرفون مثلهن أو يتطبعون بطبائعهن وصفاتهن ، أو العكس .

« وبيع الحكم » ، أى : دفعت الرشاوى والهبات والعطايا للحصول عليه كما يحدث من بعض الأعضاء الذين يدفعون للناس مقابل ترشيحهم لعضوية البرلمان أو أحد المجالس أو لشغل المناصب المهمة .

« وصارت الإمارات مواريث » ، أى : أصبح كل حاكم يولّى ابنه من بعده ، ولا يترك للناس اختيار حاكمهم بالانتخاب ؛ ليختاروا الحاكم الأكثر علماً ورشداً وورعاً وتقوى ونزاهة ، وكان بنو أمية هم أول من فعل ذلك فى المسلمين ، ثم سار على منوالهم كثير من حكام المسلمين .

١٧ - من العلامات الصغرى للساعة أيضاً : هدم سد يأجوج ومأجوج وخروجهم من ورائه وغزوهم للبلاد الإسلامية عندما يكثر فيها الخبث وقد سمى رسول الله ﷺ هؤلاء القوم فى بعض أحاديثه يأجوج ومأجوج وفى البعض الآخر سمّاهم باسم « الترك » ، وفى بعضها « خوزاً وكرمان من الأعاجم » ولكن وصفه لملامحهم جميعهم كان واحداً :

عن زينب بنت جحش أنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ من النوم مُحْمَرّاً وجهه يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وعقد سفيان تسعين أو مائة ، قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » . ـ (رواه البخارى) .

ففى هذا الحديث إشارة إلى اقتراب موعد هدم سد يأجوج ومأجوج من زمان النبى ﷺ وخروج يأجوج ومأجوج من ورائه ووقوع كثير من الشر على المسلمين نتيجة ذلك وقد سبق أن شرحنا فى الفصول السابقة أن هؤلاء القوم هم التتار والمغول وحددنا موقع السد وأكدنا هدمه طبقاً لروايات بعض المؤرخين قبل خروج التتار والمغول من ورائه فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين .

وقال ﷺ : « إنكم تقولون إنه لا عدو وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتى يأجوج ومأجوج عراض الوجوه ، صغار العيون ، صهب الشعاب ، ومن كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » .

ـ رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن حرملة .

وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، وحتى تقاتلوا الترك ،

صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف [١] ، كأن وجوههم المجان المطرقة » .

ـ رواه البخارى .

وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فطس الأنوف [٢] ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر » .

ـ رواه البخارى .

وقال رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة » . ـ رواه أحمد .

فجميع الأحاديث السابقة أشارت إلى أن هدم السد وخروج يأجوج ومأجوج أو الترك ومقاتلة المسلمين لهم يعدّ علامةً من العلامات الصغرى للساعة ؛ لأن معظم الأحاديث التى قال فيها النبى ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ... » تخصّ العلامات الصغرى للساعة فى الغالب ، أما العلامات الكبرى للساعة ، فقد حددها النبى ﷺ بعشر علامات فقط وذكر ضمنها أيضاً خروج يأجوج ومأجوج .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو :

كيف يكون هدم السد وخروج يأجوج ومأجوج من ورائه علامة من العلامات الكبرى للساعة التى لم تقع أى علامة منها حتى الآن وفى نفس الوقت نؤكد أن السد قد هدم وخرج من ورائه يأجوج ومأجوج ، أو التتار والمغول ؟

وللإجابة عن هذا السؤال يلزمنا التعرف على يأجوج ومأجوج المذكورين فى العلامات العشر الكبرى للساعة ، والتعرف على جميع الآيات القرآنية التى ورد بها ذكر يأجوج ومأجوج ، ثم الوصول إلى نتيجة من هذه المعلومات .

* * *

(١) ، (٢) ذلف الأنوف ، وفطس الأنوف : صغار الأنوف .

إذا كان التتار والمغول يأجوج ومأجوج فمن يأجوج ومأجوج المذكور خروجهم بعد نزول عيسى من السماء لقتل الدجال كعلامة من العلامات العشر الكبرى للساعة ؟ :

بعد أن تتم وتتحقق العلامات الصغرى للساعة ، تبدأ العلامات الكبرى للساعة فى الظهور ، وعند ظهور أولاها تتتابع باقى العلامات العشر فى الظهور ، كما تتتابع حبّات العقد فى الانفراط بعد قطع الخيط الذى يضم هذه الحبات ببعضها كما أكد ذلك رسول الله ﷺ .

والعلامات العشر الكبرى هى : الدجال ، وعيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، والدابة ، والدخان ، وطلوع الشمس من مغربها، وخسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب ، وخروج نار من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم .

ويلاحظ أن الروايات المختلفة لأحاديث العلامات العشر الكبرى للساعة لم تتفق على ترتيب محدد لهذه العلامات ، فمرة : يذكر الدجال ، ثم عيسى ، ثم يأجوج ومأجوج ، ثم طلوع الشمس من مغربها ... إلخ .

ومرة : يذكر طلوع الشمس من مغربها ، ثم الدابة ، ثم الدجال ، ثم عيسى ، ثم يأجوج ومأجوج ، ثم الدخان ... إلخ .

ومرة أخرى : يرد أولاً طلوع الشمس من مغربها ، فالدابة ، فخروج يأجوج ومأجوج ، ثم عيسى ، ثم الدخان ... إلخ .

كما لم تتفق الروايات على أول العلامات خروجاً ، ففى بعضها طلوع الشمس من مغربها ، وفى البعض الآخر : الدجال ، وفى أخرى : الدابة أو النار التى تحشر الناس إلى محشرهم .

قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدجال ، وخروج

عيسى ابن مريم ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » . ـ رواه أحمد ومسلم وأهل السنن .

وقال ﷺ : « بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخان ، ودابة الأرض ، وخويصة أحدكم وأمر العامة » . ـ رواه أحمد .

وعن حذيفة بن أسيد قال : اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال : « وما تذكرون ؟ » قالوا : نذكر الساعة فقال :

« إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم » . ـ رواه أحمد .

والعلماء مجمعون على أن الدجال سيأتى بعده عيسى ابن مريم لأنه هو الذى سيقتل الدجال وبالتالى لا بد أن يظهر الدجال قبله ، والأحاديث صرحت بذلك ، كما صرحت بخروج يأجوج ومأجوج بعد عيسى ؛ لأنهم سيحاربون عيسى وأتباعه ، ومتفقون أيضاً على أن طلوع الشمس من مغربها سيتبعه خروج الدابة أو العكس ؛ لأن الأحاديث صرحت بذلك .

وأيضاً متفقون على أن الخسف بالمغرب والمشرق وجزيرة العرب ثم خروج النار من قعر عدن ؛ لتحشر الناس إلى محشرهم ستكون آخر العلامات العشر ؛ لأنها ستقع قبل القيامة مباشرة .

والخلاف هو فى تحديد ما إذا كان الدجال أول العلامات خروجاً أم طلوع الشمس من مغربها ؛ لورود روايات صحيحة بأن كلاً منهما هو أولى العلامات العشر للساعة ، ولكن العلماء حسموا هذه المشكلة بأن الدجال لا بد وأن يكون أول العلامات العشر ؛ لأن الأحاديث صرحت بأن التوبة والإيمان سيغلقان بطلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة .

فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس

من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها » ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٥٨] .

ـ رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الآيات خروجاً : طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً » . ـ رواه مسلم .

فهذه الأحاديث صرحت بغلق باب التوبة وعدم قبول الإيمان إذا خرجت الدابة أو طلعت الشمس من مغربها في حين صرحت أحاديث أخرى بأن عيسى لن يقبل في زمانه ـ بعد نزوله من السماء وقتله للدجال ـ إلا الإسلام وسيقتل كل من لا يدخل فيه ، كما صرح القرآن بأن بعضاً من أهل الكتاب سيؤمن بعيسى بعد نزوله من السماء وقبل موته وذلك من قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ .

[سورة النساء : ١٥٧ - ١٥٩] .

وما دام بعض أهل الكتاب سيؤمن بعيسى بعد نزوله من السماء ، فلا بد وأن يكون باب التوبة والإيمان مفتوحاً ، ولم يغلق بعد في زمانه ، فلو كان طلوع الشمس من مغربها ، أو الدابة سابقين عليه ، فكيف يقبل الإيمان والتوبة في زمانه وباب التوبة قد أغلق قبل مجيئه ؟ لذلك لا بد أن يكون طلوع الشمس والدابة بعد خروج يأجوج ومأجوج .

وقال ابن كثير فى « الفتن والملاحم » : « إن الدجال ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، أول الآيات الأرضية ، وطلوع الشمس من مغربها والدابة أول الآيات السماوية » .

وقد جمع الحافظ « ابن حجر العسقلانى » بين هذه الروايات فقال : « إن الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العامة فى الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، والدابة ، أول الآيات المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوى ، والنار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة » .

وعلى ذلك يمكن تقسيم العلامات العشر الكبرى للساعة على النحو التالى :

١ - علامات مؤذنة ببدء تغيير أحوال الناس فى الأرض وهى : الدجال - نزول عيسى ابن مريم - خروج يأجوج ومأجوج .

٢ - علامات مؤذنة ببدء تغير أحوال السماء : طلوع الشمس من مغربها - الدابة - الدخان .

٣ - علامات مؤذنة بالاقتراب الوشيك للساعة : خسف بالمغرب - خسف بالمشرق - خسف بجزيرة العرب .

٤ - علامات مؤذنة ببداية الحشر وقيام الساعة : خروج نار من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم .

وعلى ذلك فخروج يأجوج ومأجوج هو ثالث العلامات الكبرى للساعة .

والسؤال الآن :

كيف يكون السد قد هدم وخرج من ورائه يأجوج ومأجوج (التتار والمغول) ثم نرى فى الأحاديث أن خروجهم - والمفروض أن يكون من وراء السد - سيتم بعد نزول عيسى من السماء ؟

ألا يحتمل أن يكون يأجوج ومأجوج لا يزالون وراء سدهم فى مكان آخر من الأرض وأنه لم يفتح بعد ؟

يقول الأستاذ عبد اللطيف عاشور ـ فى كتابه « ثلاثة ينتظرهم العالم » :

« كيف يحتمل ذلك والأقمار الصناعية صورت كل أنحاء الأرض ، والطائرات طارت فوق كل أقطارها وبحارها فلم يبق فى أرض الله مكان خفىّ من عدسات التصوير أو عن العيون .

وكيف تكون هناك أمتان بهذا الخطر وبهذه الكثرة ولا يعثر لهم على مكان فضلاً عن أن بلاد الله كلها مفتوح بعضها على بعض وأصبحت متصلة بشتى وسائل الاتصال فأين يوجدون ؟ » .

ثم يستطرد فيقول ما معناه :

إن يأجوج ومأجوج تم إطلاقها فى سورة الكهف على صنف من الناس حجزهم ذو القرنين وراء السد ثم إن هذا السد سيأتى عليه يوم فى آخر الزمان يهدم ويخرجون من ورائه .

وأطلقها الله فى سورة الأنبياء ، والنبى ﷺ فى أحاديثه عن العلامات العشر الكبرى للساعة على صنف آخر خطير يخرج فى عهد عيسى عليه السلام قرب قيام الساعة ويكون من علاماتها [١] .

وبالإضافة إلى ما قاله الأستاذ عبد اللطيف عاشور نزيد الموضوع إيضاحاً فنقول :

إن ذكر يأجوج ومأجوج ورد فى القرآن الكريم مرتين : مرة فى سورة الكهف عند الحديث عن السد الذى بناه ذو القرنين ؛ ليحجزهم وراءه وفى هذه الآيات أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هذا السد سيدك بالقرب من قيام الساعة وذلك فى قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

[الكهف : ٩٨ ، ٩٩] .

ثم ورد ذكر يأجوج ومأجوج مرة أخرى فى القرآن فى سورة الأنبياء ، ولم يتحدث

---

(١) ثلاثة ينتظرهم العالم : عبد اللطيف عاشور ـ ص ٧٩ ، ٨٠ .

الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات عن السد أو عن ذى القرنين ، وأكد أن خروجهم فى هذه المرة سيكون قريباً جداً من قيام الساعة إذ إنه فى سورة الكهف ترك فترة زمنية بين هدم السد والنفخ فى الصور ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا ﴾ . [الكهف : ٩٩] .

ففى هذا إشارة إلى أنه بعد هدم السد سيكون هناك فترة زمنية معينة تدور خلالها مجموعة من الحروب بين يأجوج ومأجوج وبين الناس أو بين يأجوج ومأجوج وبعضهم البعض أو بين الناس وبعضهم البعض أو يحدث كل ذلك على فترات متقطعة .

المهم أن هناك فترة تاريخية قد تكون طويلة أو قصيرة بين هدم السد والنفخ فى الصور .

أما فى سورة الأنبياء فلم يذكر الله سبحانه وتعالى تلك الفترة الزمنية بين خروج يأجوج ومأجوج واقتراب الساعة ، مما يوحى بأن خروجهم فى هذه المرة سيكون قريباً جداً منها ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ .[سورة الأنبياء : ٩٦، ٩٧] .

ففى هذه الآية لم يتحدث الله سبحانه وتعالى عن فترة زمنية بين خروجهم واقتراب الساعة كما لم يتحدث عن خروجهم من وراء السد ، مما يؤكد أن خروجهم هذا سيكون بعد خروجهم الأول من وراء السد .

أى : أن هناك خروجين ليأجوج ومأجوج : أحدهما من وراء السد ، وقبل الساعة بفترة ، وهذا الخروج من العلامات الصغرى للساعة ، والأخرى عند قيام الساعة وبالتحديد بعد نزول عيسى ابن مريم وقتله للدجال ، وهذا الخروج من العلامات العشر الكبرى للساعة ، كما أكد ذلك النبى ﷺ فى حديثه عن علامات الساعة الكبرى .

ويؤكد ذلك أحاديث النبى ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقد أكد فتح جزء من السد مثل الحلقة فى زمانه وأن ميعاد هدم السد أصبح قريباً من زمانه ، وحدث ذلك بعد زمان النبى ﷺ بحوالى ستمائة عام فى غزوات التتار والمغول على البلاد الإسلامية وفى هذه

الأحاديث ذكر النبى ﷺ خروجهم من وراء السد ، ووصف ملامحهم وأسلحتهم ، ولباسهم وجميعها كما سبق وأن بينّا كانت تنطبق على ملامح وأوصاف التتار والمغول .

كمـــا تحدث النبى ﷺ عن خروجهم فى زمان عيسى ، ولم يذكر الســـد فى هذه الأحاديث ، بل ذكر خروجهم بنفس النص الوارد فى القرآن فى سورة الأنبياء وهو ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . [الأنبياء : ٩٦] .

ولو دقّقنا فى معنى كلمة « حدب » و « ينسلون » وراجعنا معنى كل منهما فى المعاجم اللغوية ؛ لفهمنا أن استخدام الله سبحانه وتعالى ـ والنبى ﷺ لهذين اللفظين كان له معناه ومغزاه ودلالته .

ولنتعرف الآن على المعنى اللغوى للفظين ثم نحاول فهم الآية فهماً صحيحاً بعد ذلك :

حدب : هو كل شىء ارتفع وغلظ من الأرض [١] .

ينسلون : مشتقة من نَسَلَ ، ونسل الشىء أى : انفصل عن غيره وسقط ، والنسالة : ما سقط من الصوف أو الشعر عند نسله [٢] .

ولو أمعنا النظر فى معنى الكلمتين لفهمنا أن مجىء يأجوج ومأجوج فى هذه المرة لن يكون من وراء سد ، بل ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٦] أى : من أشياء مرتفعة عن الأرض يسقطون على عيسى وأتباعه منها ؛ وهذا الخروج سيكون فى السنين القادمة ؛ لأن العلامات الكبرى للســاعة لم تتحقق بعد ، ونحن الآن فى عصر الطائرات وسفن الفضـــاء ، والصـــواريخ العابرة للقارات ، والمظلات ، والبالونات المطاطية ... إلخ .

فهل سيأتى يأجوج ومأجوج من شمال وشمال شرق آسيا إلى عيسى وأتباعه سائرين على أقدامهم ؟ أم بالطائرات ؟

---

(١) راجع المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، ومختار الصحاح ، والمصباح المنير .
(٢) المصدر السابق .

لقد فهم البعض أن المقصود ﴿ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ (الأنبياء : ٩٦) أى : من كل مرتفع يأتون مسرعين وهذه المرتفعات هى الجبال الموجودة بالقرب من أراضيهم .

ولكن هل سيأتون إلى عيسى وأتباعه عند أرض فلسطين بعد قتل الدجال بدون أسلحتهم ومجنزراتهم ودباباتهم ومدرعاتهم وطائراتهم كما قلنا سابقاً أم سيستخدمون هذه الأسلحة ؟

فإذا كانوا سيستخدمون جميع أنواع أسلحتهم فكيف سيعبرون هذه الجبال المرتفعة ؟

إذن : لا يوجد تفسير سوى القول بأنهم سيأتون مستخدمين طائراتهم ثم يسقطون منها بالمظلات والأسلحة على عيسى وأتباعه ، وبذلك يكون المقصود من الحدب فى هذه الآية السابقة : هو الطائرات ، فالطائرات تكون مرتفعة عن الأرض أثناء طيرانها فى السماء ، وبالتالى يمكن أن نطلق عليها « حدباً » خاصة إذا علمنا أن الشىء المحدب هو الشىء المقوس إلى أعلى ، ومنه سميت العدسة المحدبة ، وجسم الطائرة محدب من أعلى وأسفل ، فالمحدب بمعنى : المقوس لأعلى .



وعلى ذلك فكلمة « حدب » قصد منها معنيان :

الأول : أنه شىء مرتفع عن الأرض .

والثانى : أن شكل هذا الحدب مقوس من الجانبين مثل العدسة المحدبة .

وكلمة « ينسلون » قصد منها : يتساقطون من هذا الجسم وهو ما يحدث عندما يسقط الجندى بالمظلة من الطائرة .

أى : أنهم سيأتون بطائراتهم ثم يتساقطون منها بالمظلات ، وهذا يؤكد أن خروجهم فى هذه المرة ليس من وراء سد ـ مثل الخروج الأول الذى ذكر فى سورة الكهف .

والسؤال الآن : هل التتار والمغول هم نفس القوم الذين سيخرجون فى زمان عيسى رغم أن التتار والمغول دخل جزء كبير منهم فى دين الإسلام ؟

والإجابة : لا ؛ لأن يأجوج ومأجوج لم يقتصروا على التتار والمغول فقط ولكنهم جميع القبائل التى كانت تعيش فى منطقة شمال وشمال شرق آسيا ، كما يتضح ذلك من الخرائط الجغرافية القديمة التى عرضناها فى الفصول السابقة وأغلب هذه القبائل ينتمى إلى العنصر التركى بالإضافة لقبائل أخرى غير تركية ، وأهم هذه القبائل التركية التى كانت تعيش فى القرن الثالث عشر الميلادى :

[الهون ـ توركش ـ القرغيز ـ الأويغور ـ الأغوز ـ السلاجقة ـ الكرايت ـ القارلوق ـ النايمان (من الترك المغول)] .

ومن أشهر القبائل غير التركية (المغولية) :

الخطا ـ قرة خيتاى ـ خيتاى ـ الآفار ـ النايمان (من الترك المغول) ـ برجقين ـ جورشات] .

ومن أشهر القبائل غير التركية (التتارية) :

[التتار البيض ـ التتار السود ـ تتار الغابة] .

وكان التتار ينزلون شمال الصين وجنوب غرب روسيا .

هذا بالإضافة إلى [التونجوز والقانقلى وغيرهم] .

وهذه القبائل هم ما يعرفون الآن بدول الاتحاد السوفييتى (سابقاً) ومنغوليا وكوريا وأوزبكستان وتركمانستان وتداجيكستان وتركستان وأذربيجان وأرمينيا وتركيا وشمال الصين ، فهؤلاء جميعاً هم سكان شمال وشمال شرق آسيا وقد دخل الكثير من هذه الدول فى دين الإسلام .

لذا يمكننا القول بأن يأجوج ومأجوج الذين سيغيرون على عيسى ومن معه من

المسلمين والمسيحيين واليهود الذين سيؤمنون به على أنه المسيح الحقيقى بعد قتله للدجال ؛ هم نفس تلك الدول بعد استبعاد الدول الإسلامية منهم .

نهاية يأجوج ومأجوج في الإسلام :

قال رسول الله ﷺ بعد ذكر قتل عيسى للدجال :

« ... ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه (أى : من الدجال) فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيسير أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء .

ويحصـر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ؛ فيرسل الله عليهم النغف [١] فى رقابهم ، فيصبحون موتى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت [٢] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ؛ فيغسل الأرض ؛ حتى يتركها كالزلفـة ، ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردّى بركتك ... » . ــ رواه مسلم .

من الحديث السابق نستنتج أن نهاية يأجوج ومأجوج ستكون بقدرة الله سبحانه وتعالى إذ لن يكون لعيسى وأتباعه قدرة على قتالهم ، ونهايتهم ستكون فى المنطقة بين جبل طور سيناء وبحيرة طبرية بشمال فلسطين ، أى : ستغطى جثثهم كل أرض سيناء وفلسطين .

---

(١) النغف : نوع من الدود يصيب أنوف الإبل ويقضى عليها .
(٢) البخت : الإبل .

ودليل ذلك أنه عندما مر أوائل جيشهم ببحيرة طبرية شربوا ما فيها من ماء ثم اتجهوا ناحية عيسى وأتباعه عند جبل الطور ، وعندما وصل أواخر جيشهم ، عند بحيرة طبرية ، لم يجدوا فيها ماء ، أى : أن طول طوابير جيوشهم كان يغطى المنطقة من جبل الطور إلى بحيرة طبرية أو بعدها بمسافة قليلة فى اتجاه سيناء ، ثم حاصروا عيسى وأتباعه عند جبل الطور وقطعوا عليهم جميع الإمدادات من ماء وطعام حتى كاد يهلك عيسى وأتباعه ثم جاءهم الفرج من الله بإرسال نوع من الدود يأكل فى رقاب فرسان يأجوج ومأجوج ؛ حتى يقضى عليهم جميعاً .

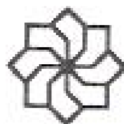
والغالب أن هذا المرض (الدود) نوع معدى وينتشر بسرعة رهيبة ، بحيث يمكنه القضاء على كل هذا الجيش فى عدة ساعات .

ونحن نشهد فى هذه الأيام الأمراض أو الأوبئة ، أو الفيروسات التى يمكنها أن تقضى على أمم بأكملها فى زمن يسير ، كالطاعون ووباء الفاشيولا وغيرها مما سيظهر من أوبئة وأمراض فى الأزمان القادمة .

وأود أن أشير إلى أن خروج يأجوج ومأجوج لن يكون بعد قتل عيسى للدجال مباشرة بل سيكون هناك فترة زمنية بين قتله للدجال وبين خروج يأجوج ومأجوج ويتضح ذلك من قول النبى ﷺ فى إحدى الروايات :

« .. ويرجع الناس إلى أوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيطأون بلادهم ... » .

رواه أحمد وصحح أحمد شاكر إسناده



الفصل الخامس :

سيرة يأجوج ومأجوج في التوراة والإنجيل

تحدث القرآن الكريم عن خروج يأجوج ومأجوج مرة من وراء السد ، ومرة فى زمان عيسى بعد نزوله من السماء ، وقتله الدجال ، كما أوضحنا ذلك فى الفصول السابقة .

وذكرت التوراة والإنجيل خروج يأجوج ومأجوج فى نهاية الزمان أيضاً ولكنهما لم يتحدثا إلا عن خروج واحد لهم فى زمان عيسى بعد قتله الدجال وأتباعه فى حربه التى ستدور معهم على أرض فلسطين فى المعركة الكبرى أو الحرب العالمية التى يطلقون عليها « معركة هرمجدون » أو « يوم الله القادر على كل شىء » أو « الخربة الأبدية » أو « يوم الرب » أو « يوم الدينونة » أو « الأسبوع الأخير قبل فترة الملك الألفى » .

وهذه المعركة تعرف فى الإسلام « بالملحمة الكبرى » وتبدأ بحرب عالمية ثالثة بين المسلمين بقيادة المهدى المنتظر وبين تحالف دول غرب أوربا وخلالها يتمكن المسلمون من فتح القدس والفاتيكان .

وعند ذلك يخرج الدجال بأطباقه الطائرة والشياطين من مثلث برمودا فيسيطر على الأرض ، ويخضعها لحكمه ، فيتحالف معه اليهود والغرب [1] والدول الوثنية .

وتستمر المعارك بين المسلمين والدجال وأتباعه ، حتى ينزل عيسى ابن مريم من السماء لنجدة المسلمين فيقتل الدجال ، ثم يقضى على جميع أتباعه من اليهود

---

(١) راجع تفاصيل سيرة الدجال فى كتابنا : « اقترب خروج المسيخ الدجال ـ الصهاينة وعبدة الشيطان يمهدون لخروج الدجال بأطباقه الطائرة من مثلث برمودا » ـ نشر دار البشير بالقاهرة .

والغرب والمشركين ممن يرفضون الاعتراف به ـ بعد قتله للدجال ـ على أنه المسيح الحقيقي ويصرون على اتباع تعاليم المسيح الدجال ، وبعد قضائه على أتباع الدجال يخرج يأجوج ومأجوج للقضاء عليه هو وأتباعه من المسلمين ومن دخل فى الإسلام من اليهود والنصارى .

والحديث عن تفاصيل هذه المعركة فى الإسلام والتوراة والإنجيل وأسبابها ونتائجها والدول التى ستخوضها موضوع طويل ليس مجال الحديث عنه فى كتابنا هذا فهو مما فصلنا له فى كتاب آخر(١) .

وما يهمنا الآن هو أن التوراة والإنجيل لم يذكرا خروج يأجوج ومأجوج من وراء السد كما تحدث الإسلام عن ذلك ، ولكنهما ذكرا خروجهم فى زمان عيسى بعد نزوله من السماء ، وقتله للدجال ، واعتراف من سيتبقى من اليهود بعيسى كمسيح الرب ، الحقيقى ، ويطلقون على هذه البقية « البقية المؤمنة من بنى إسرائيل » . كما أن هذا السد لم يرد له ذكر فى أى نص من نصوص التوراة والإنجيل .

وقد يرجع السر فى ذلك إلى أحد سببين :

١ - أن خروج يأجوج ومأجوج الأول من وراء السد كان لغزو الدول الإسلامية ، وكلنا يعلم أن التوراة والإنجيل بهما الكثير من التحريفات ، ومعظم هذا التحريف انصب على حذف النصوص الخاصة بسيدنا محمد ﷺ وأمته أو تشويهها ، أو تعديلها بما يوحى بأنها تخص نبياً سيأتى من اليهود ، وتخص اليهود أنفسهم كشعب مختار لله فى نهاية الأيام بدلاً من المسلمين الذين أكدت التوراة فى بعض نصوصها ـ رغم تحريفها ـ أنهم هم الشعب المختار بعد رفض الله لليهود ؛ نتيجة آثامهم وشرورهم وفسادهم وعدم التزامهم بوصاياه وشرائعه وعهودهم معه كشعب مختار له .

لذا فقد أنبأهم فى توراتهم باختيار واصطفاء أمة غيرهم من أبناء إسماعيل (نبايوت وقيدار) كما يتضح ذلك من سفر إشعيا . وقد حرفوا جميع هذه النصوص ونسبوها إلى أبناء إسحاق ويعقوب ، واستلزم ذلك حذف النبوءات

(١) راجع تفاصيل هذه المعركة فى كتابنا « الحرب العالمية القادمة فى الشرق الأوسط » .

الخاصـة بخـروج يأجـوج ومأجـوج من وراء السد لغزو الدول الإسلامية حتى لا يرد أى ذكر صريح لهذه الدول فى التوراة والإنجيل ، وهذا هو الاحتمال الأول .

٢ - الاحتمال الثانى : ألا يكون قد ورد ذكر هذا السد فى التوراة ؛ لأنه هدم فى الفترة التى تشتت فيها اليهود فى جميع أنحاء الأرض ولم يكن لهم دولة فى ذلك الوقت ، ومن يراجع التوراة يجد أنها تحكى تاريخ اليهود منذ نشأتهم أو منذ زمن سيدنا إبراهيم وحتى قيام الساعة وقد أنبأهم أنبياؤهم بجميع الأحداث التى ستمر بهم والأمم التى ستغير عليهم والأمم التى سيتمكنون منها ، ويسيطرون عليها على مدار الفترات المختلفة للتاريخ ، ثم نبأوهم بنهايتهم المشئومة التى قضى الله عليهم بها فى نهاية الأيام نتيجة شرورهم وفسادهم وإفسادهم فى الأرض .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا القضاء فى سورة الإسراء بقوله تعالى :

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً ﴾ . [سورة الإسراء : ٤ - ٧] .

ونظراً إلى أن خروج يأجوج ومأجوج الأول من وراء السد كان فى فترة شتاتهم فى الأرض ولم يصبهم من شرورهم شىء ، أو لم يكن لهذا الخروج تأثير يذكر عليهم ، لم ينبئهم أنبياؤهم بهذا الخروج واكتفوا بذكر الخروج الثانى فى زمان عيسى ؛ لأنه سيكون لهم فى ذلك الوقت دولة فى فلسطين بعد عودتهم من الشتات فى نهاية الأيام (كما أنبأوهم بذلك فى مواضع كثيرة من التوراة) لأن هذا الخروج سيؤثر عليهم ويصيبهم من شر يأجوج ومأجوج نصيب كبير ، أو لأنه مرتبط بالأحداث التى ستؤدى إلى القضاء عليهم ، وهذا هو الاحتمال الثانى .

وقد ورد ذكر يأجوج ومأجوج فى التوراة بسفر « حزقيال » الأصحاحين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين ، أثناء حديثه عن الأمم التى ستغير عليهم فى نهاية الأيام ، ولم يرد أى ذكر لسيدنا عيسى فى هذه النبوءة وواضح أن اليهود حذفوا النصوص الواردة فى نبوءات النبى حزقيال عليه السلام ، عن عيسى عليه السلام والمسلمين ، وقصروا النبوءة على اليهود فقط كشعب مختار مؤمن موحد دون سائر الشعوب فى ذلك الوقت ؛ لذا سنجد أن جميع النصوص فى نبوءة حزقيال تتحدث عن هجوم يأجوج ومأجوج على أرض إسرائيل فقط .

كما ورد ذكر يأجوج ومأجوج فى الإنجيل بسفر « الرؤيا » الأصحاح العشرين ويتحدث سفر الرؤيا عن الأحداث والنكبات والأزمات والغضب الذى سينزله الله على الأرض قبل مجىء عيسى ابن مريم من السماء بسبع سنوات حسب تفسيرهم ويقسم يوحنا اللاهوتى صاحب سفر الرؤيا هذه السبع سنوات إلى مرحلتين :

الثلاث سنوات ونصف الأولى : وفيها تحدث مجموعة من الحروب والمجاعات وتنتشر الأوبئة والأمراض ، وينصب غضب الله على الأرض .

ثم الثلاث سنوات ونصف التالية : وفيها يخرج الدجال ويتحالف معه الصهاينة والمجموعة الأوروبية (دول غرب أوربا) وأمريكا والأمم المتحدة (وهؤلاء لم يذكروا باسمهم ولكن رمز لهم بمجموعة من الوحوش اختلف مفسرو الكتاب المقدس فى شرحها ، وهذا هو التفسير السليم لها وهو ما فصلت له فى كتب أخرى .

ثم يسيطر الدجال على الأرض خلال الثلاث سنوات ونصف الأخيرة حتى يأتى عيسى من السماء ويقتله وأتباعه من اليهود ودول غرب أوربا وباقى أتباعه من أهل الأرض ويملك عيسى ، كما يدعى صاحب سفر الرؤيا على الأرض لمدة ألف عام يسود خلالها العدل والخير ، وبعد الألف عام يخرج يأجوج ومأجوج بتحريض من الشيطان على عيسى وأتباعه .

أى : أن خروج يأجوج ومأجوج فى الإنجيل سيكون بعد نزول عيسى من السماء وهذا يوافق ما ورد فى الإسلام ، ولكن فى الإنجيل ذكر أنه سيكون بعد نزوله وقتله للدجال بألف عام ، وهذا يخالف ما ورد فى أحاديث النبى ﷺ .

هذه كانت مقدمة وتمهيداً لا بد منه لفهم أسباب عدم ذكر خروج يأجوج ومأجوج من وراء السد فى التوراة والإنجيل ، والاكتفاء بذكر خروجهم فى نهاية الأيام فقط ، فى كل من التوراة والإنجيل . فكل منهما ذكر يأجوج ومأجوج عند ذكر ما يحدث على الأرض فى الأيام الأخيرة قبل قيام الساعة .

ولنؤكد أيضاً أن الأحداث والظروف والمناسبات التى ذكر فيها خروج يأجوج ومأجوج فى التوراة والإنجيل تتفق مع الظروف والأحداث والمناسبات التى ذكرت فى أحاديث النبى ﷺ عن خروجهم فى زمان عيسى بعد قتله للدجال ، وأننا إذا حققنا النصوص واكتشفنا ما أدخل عليها من تحريفات ستجد أنها تتطابق تماماً مع أحاديث النبى ﷺ ، ومع ما ورد فى القرآن عن خروج يأجوج ومأجوج وعن نزول عيسى من السماء فى نهاية الأيام .

أى : أن ذكر يأجوج ومأجوج فى التوراة والإنجيل خاص بخروجهم الثانى ، الذى سيكون فى زمان عيسى عليه السلام ، وليس بخروجهم الأول من وراء السد .

روسيا ودول شمال شرق آسيا هم يأجوج ومأجوج بالتوراة والإنجيل :

يقول سفر الرؤيا عن خروج يأجوج ومأجوج (بعد انقضاء فترة الملك الألفى ، على عيسى وأتباعه من القديسين (المسلمين) :

ثم متى تمت الألف السنة يحل الشيطان من سجنه . ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض يأجوج ومأجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر . فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة » .

(سفر الرؤيا أصحاح ٢٠/٧-٩) .

ويقول النبى حزقيال عن يأجوج ومأجوج :

« وأنت يا بن آدم تنبأ على جوج وقل : هكذا قال السيد الرب هأنذا عليك ياجوج

رئيس روش وماشك وتوبال وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصى الشمال وآتى بك على جبال إسرائيل » . (حزقيال ١/٣٩ – ٢) .

« .. وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً كلهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف .. وجومر وكل جيوشه وبيت توجرمة من أقاصى الشمال مع كل جيشه شعوباً كثيرين معك . استعد وهيئ لنفسك أنت وكل جماعاتك المتجمعة إليك فصرت لهم موقراً . بعد أيام كثيرة تفتقد فى السنين الأخيرة تأتى إلى الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل ... وتصعد وتأتى كزوبعة وتكون كسحابة تغشى الأرض ، أنت ، وكل جيوشك ، وشعوب كثيرون معك » . (حزقيال ٤/٣٨-٩) .

« وتأتى من موضعك من أقاصى الشمال أنت ، وشعوب كثيرون معك ، كلهم راكبون خيلاً ، جماعة عظيمة ، وجيش كثير . وتصعد على شعبى إسرائيل كسحابة تغشى الأرض . فى الأيام الأخيرة يكون » . (حزقيال ١٥/٣٨-١٦) .

مما سبق نستنتج أن يأجوج ومأجوج يسكنون أقاصى الشمال من الكرة الأرضية وحدد موقعهم فى روش (روسيا) وماشك (موسكو) وتوبال (توبلسك) ، وجومر وتوجرمة (شعوب أرمينيا) ، وأنهم سـيأتون على أرض إسـرائيل فى الأيام الأخيرة (نهاية الأيام) ، ومعهم شعوب أخرى كثيرة من شرق وشمال آسيا .

والآن تعالوا ؛ لنتعرف على رأى مفسرى الكتاب المقدس فى هذه النصوص :

يفسر بعض أهل الكتاب « جوج » على أنها رمز أو اسم لرئيس روسيا وماجوج هى ياجوج أو اسم شعب الرئيس « جوج » ، وهم شعب روسيا والبعض الآخر يفسر جوج وماجوج على أنها رمز لشعوب يأجوج ومأجوج المعروفين بهذين الاسمين عند العرب .

فيعرف قاموس الكتاب المقدس جوج وماجوج بما يلى :

جوج وماجوج : جوج كان رئيساً على شعب ماشك وتوبال ، وماجوج كان ثانى أبناء يافث ، وكان جوج أميراً لماشك وتوبال (أبناء يافث بن نوح والذى سمى نسلهما فيما بعد على اسمهما) وجوج وشعبه ماجوج يقصد بهم قبائل السكيثيين

المتوحشة ، الذين كانوا يأتون من الشمال بقواتهم العظيمة فرساناً ومشاة متسلحين بالقسى .

وهم رمز للوثنية فى النبوءات (التوراتية والإنجيلية) .

وفى القرون المتوسطة سمى السوريون بلاد التتر « ماجوج » وأما العرب فسموا الأرض الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود « ماجوج » وظن الأكثرون أن أهل ماجوج هم السكيثيون (الروس) [1] .

[والبلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود هى أرمينيا وأذربيجان وتركيا] .

كما يعرف قاموس الكتاب المقدس توبال وماشك وروش وجومر وتوجرمة بما يلى :

توبال : اسم لخامس أولاد يافث بن نوح وسميت ذريته على اسمه ويرجح أنهم كانوا يقطنون البلاد الواقعة فى شرق آسيا الصغرى (شرق تركيا ، وهم حالياً أرمينيا وأذربيجان وجنوب الاتحاد السوفييتى (سابقاً) .

ماشك : اسم لسادس أولاد يافث بن نوح ، وسميت ذريته باسمه ويرجح أنهم كانوا يقطنون الأراضى الواقعة بالقرب من ينابيع الفرات ودجلة (أى : بالقرب من تركيا) .

روش : اسم شعب من شعوب الشمال ويرى البعض أنه ربما يكون هو اسم قديم لروسيا .

جومر : اسم لأول أبناء يافث بن نوح فهو بكْرُه ، وقد قطنت ذريته جانباً عظيماً من آسيا الصغرى (تركيا) وما وراء القفقاس (جنوب غرب الاتحاد السوفييتى السابق) واستوطنوا فريجية وكبادوكية ويذكر « هيرودتس » أن « هوميروس » الشاعر الإغريقى لقّبهم بأهل الشمال الأقصى فى كتابه « الأوديسا » .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط : ص ٢٧٦ ، ٨٢٩ .

توجرمة : ثالث أبناء جومر بن يافث بن نوح ، وقطنت ذريته فى أقاصى الشمال وتوجرمة تقع فى الغرب الجنوبى من بلاد أرمينيا .

ويقول المؤرخ اليهودى « يوسيفوس » : إن يأجوج ومأجوج هم السيث الذين سكنوا شمال وشرق البحر الأسود [1] » وهم الاتحاد السوفيتى (قبل تفككه) .

ويقول « جيروم » : إن مأجوج سكنوا شمال القفقاز قرب بحر الخزر [2] (بحر قزوين حالياً) ، أى : أنه يعتبرهم الاتحاد السوفيتى « سابقاً » .

ويقول « بروس أنيستى » فى كتابه « الأحداث النبوية » : « إن حلف يأجوج ومأجوج المذكور فى سفر حزقيال سيضم روسيا ودولاً أخرى فى أقصى الشمال » [3] .

ويقول « تاشد حنا » فى تفسير سفر الرؤيا أصحاح (٢٠) :

« الظاهر من نبوءة حزقيال أن جوج هو رئيس روسيا فكلمة « روش » هى بعينها روسيا ، وماشك هى موسكو ، وتوبال هى توبلسك ويقول النبى إن جيوشهم تأتى من أقاصى الشمال وهو موقع روسيا ... » .

ويقول « رشاد فكرى » فى تفسير سفر حزقيال أصحاح (٣٨ ، ٣٩) : « إن جوج هو رئيس روسيا وموسكو ، وتوبلسك ، وماجوج هم شعوب هذه المناطق » .

ومن النصوص الواردة بسفر حزقيال وشروحها طبقاً لتفسيرات أهل الكتاب نجد أنهم يعرفون يأجوج ومأجوج ، أو جوج وماجوج حسب الأسماء الواردة عندهم بالعبرية ، بأنهم الشعوب التى كانت تقطن شمال آسيا وهم الآن :

دول الاتحاد السوفيتى (سابقاً) وتركيا وأرمينيا وأذربيجان ، أو بمعنى أدق هم بعض أبناء يافث بن نوح عليه السلام ، أو الترك الذين كانوا يقطنون هذه المناطق ، وهذا يتفق مع ما ورد فى الإسلام عن تعريف يأجوج ومأجوج وما ورد بالخرائط الجغرافية القديمة .

---

(١) ، (٢) نقلاً عن « ثلاثة ينتظرهم العالم » : عبد اللطيف عاشور - ص ٧٦ .

(٣) الأحداث النبوية من الاختطاف إلى الحالة الأبدية : بروس أنيستى - ص ٣٦ .

وأحب أن أنوه إلى أنه ورد بسفر حزقيال (الإصحاح الثامن والثلاثين) عدد أشير فيه إلى فارس (إيران) وكوش (أبناء كوش بن حام بن نوح) وفوط (ليبيا) ، واعتبرهم مفسرو الكتاب المقدس ضمن حلف يأجوج ومأجوج وفيما يلى نص ما ورد بهذا العدد والأعداد السابقة واللاحقة له :

« ... يا ابن آدم : اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال ... وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً ، كلهم لابسين أفخر لباس جماعة عظيمة مع أتراس ومجان كلهم ممسكين السيوف . فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخوذة . وجومر وكل جيوشه ، وبيت توجرمة من أقاصى الشمال مع جيشه شعوباً كثيرين معك ... » . (حزقيال ٣٨/١–٦) .

وقد حمل هذا النص مفسرو الكتاب المقدس إلى اعتبار فارس (إيران) وكوش (وهم أبناء كوش بن حام بن نوح عليه السلام) وهم خمسة شعوب : سبأ وحويلة ، وسبتة ورعمة ، وسبتكا ، وسكنوا كلهم فى أواسط وجنوب الجزيرة العربية (السعودية واليمن) ، وجنوب غرب البحر الأحمر بما يعرف حالياً بالصومال والسودان وإثيوبيا [١] وفوط (ليبيا) ضمن حلف يأجوج ومأجوج ، وهذا اعتقاد خاطئ ؛ لأن معظم هذه الدول من الدول الإسلامية .

وكما سبق أن شرحنا فإن خروج يأجوج ومأجوج سيكون على عيسى وأتباعه ، وكما نعلم فإن أكثر أتباعه سيكونون من الدول الإسلامية ، فكيف يكون ذلك ؟ .

كما أن معظم النصوص أكدت أن يأجوج ومأجوج من أبناء يافث بن نوح ومن سكان شمال آسيا وفوط (ليبيا) ، وكوش (الصومال والسودان واليمن) ليسوا من سكان الشمال ؟ وليسوا من أبناء يافث ؟

وفى الواقع هناك احتمال قوى لأن تكون الترجمة الواردة لكوش وفوط بسفر حزقيال ترجمة خاطئة لقوط وكاش وهما من القبائل التى كانت تقطن غرب بحر قزوين (الكاشيون) وشمال غرب البحر الأسود بأوربا الشرقية (القوطيون) واستوطن القوطيون فى فترة من الفترات بإسبانيا وأسسوا لهم مملكة بها ، والكاشيون هم حالياً

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس : مصدر سابق ـ شرح لفظة (كوش) وسفر التكوين إصحاح ٧/١٠ .

الأرمن والأذربيجانيون ، وبذلك لا يكون المقصود كوش أو الكوشيون أبناء كوش بن نوح وهم سكان جنوب الجزيرة العربية واليمن والسودان والصومال وإثيوبيا أو الفوطيون وهم الليبيون حسب تفسير أهل الكتاب .

إنما يكون المقصـــود الكاشـــيون (أرمينيا وأذربيجان) والقوطـيون (الذين كانوا يقطنون بروسيا ثم نزحوا إلى رومانيا والمجر وبلغاريا ويوجوسلافيا) بالإضافة إلى فارس ولا يقصـد منها بالقطع إيران حالياً ، لأن حدود فارس كانت تمتد من بلاد الهند والصين شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً ، ومن جنوب غرب الاتحاد السوفييتي شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً ، أي : أن المقصود من فارس في النص بقايا الفارسيين من الشعوب التي لم تدخل في دين الإسلام وهي الدول الواقعة جنوب الاتحاد السوفييتي والتي كانت خاضعة لامبراطورية فارس في زمان حزقيال ومنها أرمينيا وأذربيجان أيضاً ، وأعتقد أن هذا التفسير أوقع وأدق .

وترجع التوراة نسب يأجوج ومأجوج إلى يافث بن نوح عليه السلام وبالتالي فهي تعتبرهم من أولاد آدم ، لأن نوح يعود نسبه إلى آدم . وهذا يتفق مع الرواية الواردة في النصوص الإسلامية والتي أكدت أنهم من أولاد يافث بن نوح ، وقد ورد نسبهم بسفر التكوين بالتوراة وهذا هو النص :

« وهذه مواليـد بني نوح : سام ، وحام ، ويافث . وولد لهم بنون بعد الطوفان . بنو يافث : جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس » .

(سفر التكوين ١٠/١-٢) .

وكما سبق أن أوضحنا فإن يأجوج ومأجوج ـ كما قال حزقيال ـ من أبناء ماشك وتوبال وجـومر وتوجرمة ، فماشـك وتـوبال وجومر من أبنـــاء يافث بن نـوح ، أما توجرمة وأشكناز الذي ينسب إليه الأشكنازيون (من سـكان روسـيا) فهما من أبناء جـومر بن يافث بن نوح وهـذا هـو النص الوارد بالتوراة عن أبنـاء جومر بن يافث بن نوح :

« .... وبنو جومر : أشكناز وريفاث وتوجرمة » .

(سفر التكوين ١٠/٣) .

ويتفق الإنجيل مع ما ورد بالتوراة فى ذلك ؛ لأن المسيحيين يؤمنون بالتوراة والإنجيل معاً ، والتوراة هى المصدر الأساسى للتشريع عندهم وهى أيضاً المصدر الأساسى للمعلومات عن بدء الخليقة والنشأة الأولى للكون .

وعلى ذلك فالتوراة والإنجيل متفقان على أن يأجوج ومأجوج من أبناء آدم ويرجع نسبهم إلى يافث بن نوح وأنهم شعوب شمال آسيا .

خروج يأجوج ومأجوج في نهاية الأيام للاستيلاء على البترول وسلب ونهب ما في يد عيسى وأتباعه :

يقول النبى حزقيال عن أهداف غزو يأجوج ومأجوج للأمم المتجمعة عند أرض إسرائيل فى نهاية الأيام (عيسى وأتباعه من الدول الإسلامية ومن اتبعه من اليهود والنصارى بعد قتله للدجال) :

« وقال السيد الرب لجوج : فى ذلك اليوم تخطر على قلبك أفكار ، وتنوى نية سوء ، وتقول أصعد إلى المدن التى لا أسوار لها ، وأنقض على الهادئين الساكنين فيها وجميعهم بغير سور وأبواب منيعة ؛ لأقتحم الخرائب المسكونة ، وأسلب وأنهب الشعب الذين اجتمعوا من بين الأمم ، واقتنوا ماشية ومتاعاً وسكنوا فى قلب الأرض المقدسة . ويسألك أهالى شبا وددان وتجار ترشيش وجميع مدنها : هل جئت للسلب ؟ هل جمعت جنودك ؛ لتنهب ، وتحمل الفضة والذهب وتأخذ الماشية والممتلكات وتغنم الغنائم ؟ » . (حزقيال ٣٨ / ١٠–١٣) نص الترجمة السبعينية [١] .

ويلاحظ هنا أن القبائل التى خرج عليها يأجوج ومأجوج هى : شبا ، وددان وتجار ترشيش . وشبا ، وددان : قبائل عربية من أهل الجزيرة العربية ، وترشيش : هى ترتيسوس الواقعة جنوب إسبانيا قرب جبل طارق وهى قرطاجنة حالياً [٢] وهى ضمن

(١) أوردنا نص الترجمة السبعينية للكتاب المقدس ؛ لأنه أدق وأوضح من نص الترجمة البروتستانتية المتداولة .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ـ مصدر سابق ـ شرح : شبا وددان وترشيش .

بلاد الأندلس التى كانت تابعة للمسلمين وبها أعداد كبيرة من المسلمين ، وهذا يؤكد أن الذين خرج عليهم يأجوج ومأجوج هم عيسى وأتباعه من المسلمين ، كما ورد بأحاديث النبى ﷺ .

ومن النص السابق يتضح أن يأجوج ومأجوج خرجوا لسلب ونهب ما فى أيدى عيسى وأتباعه ، من ماشية ، وأمتعة ، وفضة ، وذهب ، وممتلكات .

ويوضح « فالويل » المبشر الأصولى المسيحى الأمريكى أن هدف رئيس روسيا (جوج) هو سلب ونهب البترول فيقول :

إن معنى النهب فى الانجليزية " Spoil " فلو حذفنا الحرفين الأولين من "Spoil" تبقى لنا " Oil " أى : الزيت أو البترول ، وعلى ذلك فهدف روسيا من الهجوم على عيسى ومن معه هو البترول (١) .

ومعروف أن البترول فى روسيا حالياً بالإضافة إلى المخزون الاستراتيجى لن يكفيهم لأكثر من ثلاثين عاماً على أقصى تقدير .

نهاية يأجوج ومأجوج في التوراة والإنجيل :

يقول النبى حزقيال :

« وأنت يا بن آدم تنبأ على جوج وقل ... وأصعدك من أقاصى الشمال وآتى بك على جبال إسرائيل . وأضرب قوسك من يدك اليسرى ، وأسقط سهامك من يدك اليمنى ؛ فتسقط على جبال إسرائيل ، أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك .. أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ، ولوحوش الحقل . وأرسل ناراً على ماجوج ... وأنت يا ابن آدم فهكذا قال السيد الرب . قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لكم ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل ؛ لتأكلوا لحماً وتشربوا دماً . تأكلون لحم الجبابرة وتشربون دم

(١) النبوءة والسياسة ـ جريس هالسل ـ ص ٥٤ .

رؤساء الأرض كباش وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمنات باشان .... وأجعل مجدى فى الأمم وجميع الأمم يرون حكمى الذى أجريته ويدى التى جعلتها عليهم . فيعلم بيت إسرائيل أنى أنا الرب إلههم من ذلك اليوم فصاعداً . وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد أجلوا بإثمهم ، لأنهم خانونى ؛ فحجبت وجهى عنهم ، وسلمتهم ليد مضايقيهم فسقطوا كلهم بالسيف ، كنجاستهم ، وكمعاصيهم فعلت معهم وحجبت وجهى عنهم ... » . حزقيال (إصحاح : ٣٩) .

وفى موضع آخر يقول :

« ويكون فى ذلك اليوم أنى أعطى جوجاً موضعاً هناك للقبر فى إسرائيل ووادى عباريم بشرقى البحر ، فيسد نفس العابرين ، وهناك يدفنون جوجاً وجمهوره كله ويسمونه وادى جمهور جوج .. » .

ـ حزقيال (١١/٣٩) .

ويقول سفر الرؤيا بالإنجيل عن نهاية يأجوج ومأجوج :

« ... فنزلت نار من عند الله من السماء ، وأكلتهم » .

ـ رؤيا يوحنا اللاهوتى (٩/٢٠) .

ولا ننسى أننا سبق وأن نوهنا إلى أن اليهود يقصرون جميع النبوءات عليهم هم وحدهم ، وعلى أرض إسرائيل فقط ، فقد لاحظنا أن الأعداد السابقة تتحدث عن غزو يأجوج ومأجوج لأرض إسرائيل فقط وأن نهايتهم فى أرض إسرائيل ، وأن البركات والخيرات ستحل ـ بعد القضاء عليهم ـ على اليهود وأرض إسرائيل فقط ؛ وهذا نتيجة تعصبهم وتكبرهم وغرورهم ، فقد ورد بأحاديث النبى ﷺ أن نهاية يأجوج ومأجوج عند طور سيناء ، وقلنا : إنها قد تكون فى المنطقة من طور سيناء حتى نهاية أرض إسرائيل ، ولكنها لن تكون فى أرض إسرائيل فقط ، كما أن أحاديث النبى ﷺ أكدت أن الخير ، بعد القضاء عليهم ، سيحل على الأرض كلها ، ويعم عيسى وأتباعه من المسلمين وباقى الأمم الذين يدخلون فى دينه (وهو دين الإسلام كما دلت على ذلك أحاديث أخرى) .

كما أن سيرة يأجوج ومأجوج الواردة بالتوراة بسفر حزقيال ، لم تذكر أو تشير إلى عيسى ، وذلك ؛ لأن اليهود لا يؤمنون بعيسى .

وفى الغالب كانت بنبوءات حزقيال إشارة إليه ولكن اليهود حذفوها ، كما حذفوا منها سيرة المسلمين ، فهذه عادتهم .

وورد بأحاديث النبى ﷺ أن الله سيهلكهم عند نزول عيسى ابن مريم ، بعد قتله للدجال على يديه ويد من معه من المسلمين .

فعن جابر بن عبد الله أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« يخرج الدجال فى خفة من الدين ... ثم ينزل عيسى ابن مريم ... فحين يراه الكذاب (الدجال) ينماث كما ينماث الملح فى الماء ، فيمشى إليه ، فيقتله ، حتى إن الشجر والحجر ينادى : يا روح الله هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله » . ـ رواه أحمد .

وفى رواية أخرى :

« ... فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص (الملح) فى الماء ، وينطلق هارباً ويقول عيسى : إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى ، فيقتله ، فيهزم الله اليهود ؛ فلا يبقى شىء مما خلق الله يتوارى به يهودى ، إلا أنطق الله الشىء لا حجر ولا شجر ، ولا حائط ، ولا دابة ـ إلا الغرقدة ، فإنها من شجرهم لا تنطق ـ إلا قال : يا عبد الله المسلم ، هذا يهودى ، فتعال اقتله » .

ـ رواه ابن ماجه عن أبى أمامة الباهلى .

وفى رواية أخرى قال ﷺ :

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ؛ فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا اليهودى من خلفى ، فتعال ، فاقتله ـ إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود » .

ـ رواه أحمد .

والعجيب أن اليهود لا يغالطوننا ، بل يغالطون أنفسهم ؛ فالتوراة مليئة بالنبوءات التى

تتحدث عن نهايتهم المشئومة والخراب والدمار والتشريد الذى سيلحقه الله بهم فى نهاية الأيام [(١)] .

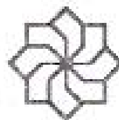
والغريب أن حزقيال فى نبوءته عن يأجوج ومأجوج تحدث عمّا سيحيق باليهود من دمار وخراب ؛ نتيجة معاصيهم ، مما يدل على أن جميع النصوص التى تقصر البركات والخيرات عليهم هى نصوص محرفة وزائدة على النص الأصلى ، وهذا يؤكد أيضاً أن النصوص الوارد بها سيرة عيسى عليه السلام والمسلمين فى هذه الأحداث قد تم تحريفها أو حذفها . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قول حزقيال :

« ... وتعلم الأمم أن بيت إسرائيل قد أجلوا بإثمهم ؛ لأنهم خانونى فحجبت وجهى عنهم ، وسلمتهم ليد مضايقيهم ؛ فسقطوا كلهم بالسيف كنجاستهم وكمعاصيهم فعلت ، وحجبت وجهى عنهم » .

(حزقيال ٣٩/٢٣-٢٤) .

وهــذا إن دل على شىء فإنمـا يدل على صـدق ما ورد بأحاديث النبى ﷺ ، وما ورد بالقـرآن ، ورغم تحريف التوراة والإنجيل ، فيجب ألا نغفل أو نهمل ما ورد بهما ؛ لأنه لا زال بهما أجزاء لم تنلها يد التحريف ، وما حرف يمكن بالبحث والدراسة ومقارنة النصوص ببعضها ، والفهم الجيد لمحتوياتها ومعانيها كشف ما أصابها من تحريف ؛ وبالتالى الاستفادة منها لأنه ورد بالتوراة والإنجيل نصوص تساعد فى التعرف على قوم يأجوج ومأجوج ، فحددوا أنهم أبناء يافث بن نوح ، وأنهم سكان منطقة شمال وشمال شرق آسيا المعروفين بالاتحاد السوفييتى (سابقاً) .

وهذه معلومات كان من الواجب علينا ألا نغفلها ، أو نهملها فى مجال بحثنا هذا ما دمنا نقيس ما ورد بكتبهم على ما ورد بكتبنا وكتب التاريخ .



(١) للمزيد من التفاصيل عن النبوءات التى تحدثت عن الخراب والدمار الذى سيلحقه الله باليهود فى نهاية الأيام راجع كتابنا : « بداية ونهاية الفساد اليهودى فى الكتب السماوية والتاريخية » .

الفصل السادس :

الأحداث السياسية العالمية والعربية التى ستقع على الأرض قبل خروج يأجوج ومأجوج

هناك مجموعة من الأحداث العالمية والعربية ستقع على الأرض قبل خروج يأجوج ومأجوج وهذه الأحداث يمكن استنتاجها مما ورد فى نصوص الإسلام والتوراة والإنجيل عن الفتن والملاحم وعلامات الساعة وأحداث نهاية الزمان .

وهناك شبه تطابق بين ما قاله النبى ﷺ عن هذه الأحداث فى أحاديثه عن الفتن والملاحم وعلامات الساعة الصغرى والكبرى وبين ما ورد بالتوراة والإنجيل على لسان أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام عن أحداث نهاية الزمان والقوى العظمى التى ستظهر فى تلك الفترة ويوم الدينونة (يوم الحساب أو يوم القيامة) .

وأحب أن أنوه القارئ إلى أنه ليس كل ما ورد فى التوراة والإنجيل محرّفاً فهناك آيات لم تنلها يد التحريف لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى ، وهى أن يبقى فى نفس نصوص التوراة والإنجيل ما يثبت تحريف ما تم تحريفه أو تبديله ، وفى أحيان كثيرة يكون النص غير محرف لكن تأويله أو تفسيره من أهل الكتاب هو الذى يكون محرفاً ويحمّل النص ما ليس فيه ؛ فمن يراجع النص يجده موافقاً لما أتى فى القرآن والأحاديث النبوية .

وهناك نصوص حرّفها أهل الكتاب بما يتلاءم مع عقائدهم وأفكارهم وأهوائهم الشخصية وهذه النصوص المحرفة أو المبدلة أو المضاف إليها عبارات وجمل وألفاظ لم تكن موجودة فى نصوصها الأصلية المنزّلة من الله سبحانه وتعالى يسهل اكتشافها من خلال مطابقتها بباقى نصوص الكتاب المقدس الواردة فى نفس الشأن ومن خلال مطابقتها بنفس النص الوارد بالتراجم الأخرى للكتاب المقدس كمقارنة الأصحاح العاشر مثلاً من سفر إشعيا بالترجمة البروتستانتينية بنفس نص الأصحاح العاشر من سفر

إشعيا بالترجمة السبعينية للكتاب المقدس ، وهكذا ، أو مقارنة ما ورد بالأصحاح الخامس بسفر التكوين بالترجمة البروتستانتينية مع ما ورد بالأصحاح الخامس بسفر التكوين بالترجمة السبعينية مع ما ورد بالأصحاح الخامس بسفر التكوين بالتوراة السامرية ، وهكذا ، فمثل هذه المطابقة يمكن أن تكشف عن بعض الإضافات أو الحذف أو التحريف أو اختلاف الألفاظ ، هذا بالإضافة إلى مطابقة ما ورد بسفر معين حول موضوع معين مع ما ورد بالأسفار الأخرى للكتاب المقدس حول نفس الموضوع فهنا يمكن اكتشاف مواضع التبديل والتغيير والتحريف بكل سهولة ، وبمطابقة هذه النصوص على ما ورد بالإسلام إن كان قد أتى ذكر لها فيه سنصل إلى الحقيقة وإلى النص الصحيح قبل تحريفه أو تبديله إذا كان به تحريف أو تبديل .

والنبى ﷺ لم ينهنا عن الأخذ بما ورد فى الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل والزبور) ولكن أمرنا بالحرص عند النقل عنها ومطابقة ما ورد بها على ما ورد بالإسلام وذلك عندما سأله بعض الصحابة عن الأخذ بما يرويه أهل الكتاب من روايات والتى نطلق عليها حالياً (الإسرائيليات) والتى كان ينقلها اليهود الذين دخلوا فى دين الإسـلام ككعب الأحبار فقـال لهم ﷺ : « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » حتى لا يصدقوهم فى رواية قد يكونون فيها كاذبين أو تكون محرفة أو يكذبوهم فى رواية قد يكونون فيها صادقين ولم تنلها يد التحريف .

والخلاصة أنه قصد منا الحرص عند النقل عنهم ولكنه لم ينهنا عن النقل عنهم ، ومن يراجع كتبهم يتبين له مدى صدق النبى ﷺ فى قوله هذا ؛ لأن التحريف لم ينل فعلاً كل ما فى التوراة والإنجيل .

ومن يدرس التوراة والإنجيل جيداً سيجد أنهما مكملان للقرآن والأحاديث النبوية مصداقاً لقول النبى ﷺ بأن مثله ومثل الأنبياء السابقين كمثل جدار أتم صاحبه بناءه وترك فيه موضع لبنة فهو هذه اللبنة (الحجر الناقص فى الجدار) فهنا شبه النبى ﷺ أحجار الجدار بالأنبياء ، والجدار نفسه برسالة الله للبشرية وشريعته ، وأكد النبى ﷺ أن هذا الجدار كان قد اكتمل بناؤه ما عدا موضع واحد لحجر فيه وأنه هو ذلك الحجر الذى أتى ليتم هذا البناء وتكون رسالته آخر الرسالات السماوية وفى نفس الوقت مكملة لما قبلها من الرسالات وشاملة أيضاً لكل ما جاء فيما قبلها من الرسالات .

وكما قلت فإن من يدرس التوراة والإنجيل وكلام أنبياء بنى إسرائيل الوارد بهما سيجد أن هناك أموراً (خاصة الأمور التى تتحدث عن الفتن والملاحم وأحداث نهاية الزمان ويوم القيامة) فصّلها النبى ﷺ وتكلم عنها أنبياء بنى إسرائيل بشيء من الإيجاز وسيجد أموراً أخرى قد فصلها أنبياء بنى إسرائيل وتحدث عنها القرآن والنبى ﷺ فى أحاديثه بشيء من الإيجاز ؛ فكان فعلاً الأنبياء يكمل بعضهم بعضاً .

ومن هنا أصبح من الواجب علينا ألا نهمل ما قاله الأنبياء السابقون ولكن مع الحرص كما سبق أن نوهنا لأن بنى إسرائيل قد حرفوا بعض كلام هؤلاء الأنبياء عندما شرعوا فى جمع كلام هؤلاء الأنبياء لوضعه فى كتاب واحد وهو المعروف حالياً بالكتاب المقدس .

والكتاب المقدس ليس مثل القرآن ، فالقرآن من أوله إلى آخره هو كلام الله سبحانه وتعالى فقط ، ولم يحرف فيه كلمة واحدة .

أما التوراة والإنجيل فهما عبارة عن كتاب يتضمن كلام الله سبحانه وتعالى وكلام لأنبياء بنى إسرائيل والسيرة الذاتية لهؤلاء الأنبياء وتاريخ بنى إسرائيل وكلام مضاف داخل الأسفار من كاتب السفر والسيرة الذاتية فى بعض الأسفار لكاتب السفر نفسه والزمن الذى كان يعيش فيه والأحداث التى عاصرها .

وجميع أنبياء بنى إسرائيل ، والنبى ﷺ حدثونا عن الأحداث التى ستشهدها الأرض قبل يوم القيامة وقبل بدء العلامات الكبرى للساعة وما بعدها وهى أحداث انطبق الكثير منها على الزمن الذى نعيش فيه الآن لأننا نعيش فى نهاية الزمان وتنتظر تحقق أولى العلامات الكبرى للساعة وهى خروج المسيح الدجال .

ونظراً إلى أن كل حدث من هذه الأحداث يحتاج إلى شرح طويل لذكر نصوصه فى الإسلام والتوراة والإنجيل ثم شرحه وتوضيحه وقياسه على الأحداث التى تقع الآن على الأرض فقد صنّفت هذه الأحداث وفصلت لها فى عدة كتب [1] .

(١) بعض هذه الكتب صدر ومتداول بالأسواق الآن والبعض الآخر تحت الطبع وسيصدر قريباً إن شاء الله تعالى .

وأرى تتميماً للفائدة أن تعطيك عزيزى القارئ فكرة موجزة جداً عن هذه الأحداث حتى تستطيع الإلمام بالموضوع ككل وسأشير إلى اسم الكتاب الذى به تفاصيل الحدث الذى سنذكره بالإيجاز . هذا وعلى من يريد التعرف على المزيد من التفاصيل عن هذا الحدث أن يرجع إلى هذا الكتاب .

فقد سبق وأن شرحنا أن خروج يأجوج ومأجوج يعد العلامة الثالثة من العلامات العشر الكبرى للساعة ؛ لذا فقبل خروجهم يجب أن يتحقق على الأقل ٩٥٪ من علامات الساعة الصغرى ، وكذلك يجب أن تتحقق العلامتان الأوليان من العلامات الكبرى للساعة وهما خروج المسيح الدجال ونزول عيسى ابن مريم من السماء لقتله .

وقد سبق وأن تحدثنا بشىء من التفصيل فى الفصل الرابع عن بعض العلامات الصغرى للساعة وسنتحدث هنا أيضاً عن جزء آخر من العلامات الصغرى للساعة وهو الجزء الخاص بالأحداث السياسية العربية والعالمية وأهمها (وليس كلها) الآتى :

١ - تجمع اليهود من شتات الأرض فى فلسطين واتخاذ القدس عاصمة لهم وتسلطهم على الدول المجاورة لهم وعلوهم فى الأرض وإفسادهم فيها من خلال حركة الصهيونية العالمية التى تسيطر على الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأمريكا وكل القوى العظمى وتسيطر على البنوك والبورصات والشركات العالمية وتسيطر أيضاً على صندوق النقد والبنك الدولى وعلى صناعة السينما والصحافة العالمية ..... إلخ .

وقد أشار جميع أنبياء بنى إسرائيل إلى عودة اليهود لفلسطين فى نهاية الزمان وعلوهم فى الأرض فى نبوءاتهم الخاصة عن مصير اليهود وأشار سفر الرؤيا الإنجيلى إلى ظهور الصهيونية العالمية التى شبهها بالوحش القرمزى وأشار إلى سيطرتها على الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمجموعة الأوربية وأمريكا ، هذا بالإضافة إلى معلومات هامة وخطيرة تحدثت عنها هذه الأسفار عن اليهود ومصيرهم ، كما أشار القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلى ذلك أيضاً وستكون نهايتهم على أيدى المسلمين ، وقد شرحت هذه النصوص فى كتابى :

« بداية ونهاية الفساد اليهودى فى الكتب السماوية والتاريخية » .

٢ – ظهور الامبراطورية البريطانية ثم الروسية ثم الألمانية ثم انهيار هذه الامبراطوريات بعد ظهور حلف الأطلنطى بزعامة أمريكا واضطهاد هذا الحلف للقديسين (المسلمين) وإذلالهم .

وقد وردت الإشارة إلى ظهور هذه الامبراطوريات ضمن رموز رؤيا النبى دانيال ـ عليه السلام ـ أحد أنبياء بنى إسرائيل والتى شاهد فيها القوى العظمى التى ستظهر على الأرض في نهاية الزمان ورمز لهذه القوى فى رؤياه بمجموعة من الحيوانات والوحوش المفترسة التى كانت أوصافها تنطبق على هذه الامبراطوريات، وقد أعطيت التفسير الصحيح لهذه الرؤيا وشرحتها شرحاً تفصيلياً بكتابى :

« الحرب العالمية القادمة في الشرق الأوسط »

و : « هلاك ودمار أمريكا المنتظر »

ومن يريد التفاصيل يمكنه الرجوع إلى أحد هذين الكتابين

٣ – ظهور أمريكا كأكبر قوة عظمى على الأرض فى نهاية الزمان وسيطرتها على الأرض كلها من خلال الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وسيطرة الحركة الصهيونية العالمية على أمريكا وسياستها الداخلية والخارجية وإتمام سيطرتها كذلك على الأمم المتحدة ومجلس الأمن ثم تدمير الله سبحانه وتعالى لأمريكا بمجموعة من النكبات يصيبها بها ، تبدأ بزلزال يقسمها إلى ثلاث مقاطعات أو ثلاث دول أو ثلاث قارات ، وأوبئة وأمراض فتاكة يسلطها على أهلها ، ومجاعات ورياح مهلكة واكتئاب نفسى يصيب أهلها ، وتنتهى هذه النكبات بالدمار النهائى لها عندما تتحالف عليها المجموعة الأوربية والصهيونية العالمية والمسلمون وكل القوى العظمى فيفرضون عليها حصاراً اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ثم يقذفونها بالصواريخ والقنابل النووية .

وقد ورد ذكر أمريكا وأوصافها وأسماؤها على لسان أنبياء بنى إسرائيل الكبار وهم إشعيا وإرميا ودانيال كما ورد ذكر تفصيل كامل لها بسفر رؤيا يوحنا اللاهوتى بالإنجيل وتحت أسماء ومسميات مختلفة وأعطى لها يوحنا أوصافاً كاملة تنطبق تماماً عليها وتحدث بالتفصيل عن حالها مع أهل الأرض ودمارها .

كما أشار النبى ﷺ إلى أمريكا فى أحاديثه عن الملاحم الكبرى بين المسلمين والروم (دول أوربا) وأشار القرآن إليها عند حديثه عن عاد الأولى .

وتفاصيل النصوص الواردة في الكتب السماوية الثلاثة والأحاديث النبوية عن أوصاف أمريكا وأسمائها التى أطلقها عليها الأنبياء وظهورها فى نهاية الزمان ثم دمارها شرحتها فى كتابى .

هلاك ودمار أمريكا المنتظر

٤ - ظهور المجموعة الأروبية كقوة عظمى بزعامة عشر دول من دول غرب أوربا بعد استقلالهم بحلف الأطلنطى عن أمريكا وقيام حلف بين الدول الإسلامية الشرق آسيوية بزعامة إيران وتركيا والعراق وباكستان بالإضافة إلى الدول الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفييتى وقد وردت الإشارة إلى ظهور المجموعة الأوربية (الروم) وحلف الدول الإسلامية الشرق آسيوية (الرايات السود - حلف الآشورى) فى أحاديث النبى ﷺ عن الفتن والملاحم وفى أحاديث أنبياء بنى إسرائيل عن أحداث نهاية الزمان وأحاديثهم عن مصير اليهود .

وقد شرحت النصوص الواردة فى هاتين النقطتين بكتابى :

« الحرب العالمية القادمة فى الشرق الأوسط »

٥ - ظهور المهدى المنتظر وتوحيده للدول الإسلامية بعد الشقاق والخلافات والحروب التى ستقع فيما بينهم وبعد الظلم والاضطهاد الذى سيلاقيه المسلمون على أيدى حكامهم والذل الذى سيعانونه من القوى العظمى التى ستفرض الحصار على مجموعة منهم والمهدى المنتظر ليس عقيدة شيعية كما يعتقد البعض لأن سيرته ورد فيها مجموعة من الأحاديث النبوية منها الصحيح والضعيف والموضوع ووردت سيرته فى أحاديث أنبياء التوراة والإنجيل تحت أسماء مختلفة تنطبق على ما ورد عنه فى الأحاديث النبوية وقد تحدثوا عنه على أنه سيكون قائد القديسين (المسلمين) الذى سيوحدهم ويجمعهم تحت سلطانه ويخوض بهم حروباً عديدة مع مجموعة من القوى العظمى على رأسهم المجموعة الأوربية ثم يحارب بهم الدجال عند خروجه ثم ينزل عيسى ابن مريم من السماء لنجدته وقتل الدجال وتمكينه هو والمسلمين من حكم الأرض كلها .

وتفاصيل سيرة المهدى المنتظر فى التوراة والإنجيل والإسلام فصلتها بكتابى :

« المهدى المنتظر فى الإسلام والتوراة والإنجيل » .

٦ - وقوع الملحمة العظمى بين المسلمين والمجموعة الأوربية وهى أكبر معركة ستشهدها الكرة الأرضية وسيكون قائد المسلمين فيها المهدى المنتظر وستنتهى بانتصار المسلمين بعد فناء أكثرهم ثم يتجه المسلمون بعد ذلك لفتح روما والفاتيكان وكل دول أوربا وبعض المقاطعات الأمريكية وبعد ذلك يخرج الدجال .

وهذه المعركة ذكرت فى الإسلام باسم الملحمة العظمى ، وفى التوراة والإنجيل باسم معركة هرمجدون وهى عندهم مجموعة من الحروب ستشهدها الأرض تبدأ قبل خروج المسيح الدجال وتنتهى بعد خروج يأجوج ومأجوج .

أما النبى ﷺ فقد أطلق اسـم الملحمة العظمى على الحرب بين المسلمين والروم (المجموعة الأوربية) ثم تحدث عن خروج المسيح الدجال فى نهاية أحاديثه عن الملحمة العظمى ثم تحدث عنه بالتفصيل فى أحاديث أخرى ثم تحدث عن نزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج فى أحاديث أخرى مستقلة لكن أهل الكتاب اعتبروا كل هذه السلسلة من المعارك معركة واحدة أطلقوا عليها اسم معركة هرمجدون طبقاً للاسم الوارد بكتبهم أنه اسم المكان الذى سينزل فيه عيسى ابن مريم ويقضى على كل هذه الأمم .

وتفاصيل هذه المعركة وما سيحدث من خلافات وحروب قبلها بين المسلمين وبعضهم البعض ، وبين اليهود وبينهم وتفاصيل المخططات الصهيونية والغربية لهدم المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل اليهودى مكانه لإشعال هذه المعركة مع المسلمين وتصريحاتهم عن قرب وقوع هذه المعركة وأثر النبوءات الواردة بكتبهم عن هذه المعركة والدول التى ستخوضها فى الخطط والسياسات الاستراتيجية التى يرسمونها لتحديد اتجاهاتهم وسياساتهم تجاه هذه الدول التى ستدور بينها تلك المعركة العالمية الكبرى ، وقد شرحتها بكتابى :

« الحرب العالمية القادمة فى الشرق الأوسط » .

٧ - خروج المسيح الدجال بأطباقه الطائرة والشياطين من مثلث برمودا وسيطرته على

كل أهل الأرض والقوى العظمى وتحالف هذه القوى الوثنية معه وعلى رأسهم المجموعة الأوربية واليهود وبقايا أمريكا بعد تدميرها .

وتفاصيل هذا الموضوع شرحتها بكتابي :

اقترب خروج المسيخ الدجال

[الصهاينة وعبدة الشيطان يمهدون لخروج الدجال بأطباقه الطائرة من مثلث برمودا] .

فقد شرحت فى ذلك الكتاب الأحاديث النبوية الواردة فى المسيخ الدجال وما سيأتى به من فتن ومعجزات ؛ وتعرضت لما أتى من نصوص بالتوراة والإنجيل عن المسيخ الدجال .

وأثبت فى نهاية البحث أن فتن ومعجزات الدجال ستكون فتناً علمية ستصنعها له الشياطين وعلى رأسها دابة أو حمار الدجال الذى حدثنا عنه النبى ﷺ والذى سنكتشف من خلال الكتاب أن أوصافه تنطبق تماماً على أوصاف الأطباق الطائرة .

كما أثبت أن الأطباق الطائرة حقيقة لا خيال من خلال مجموعة من الصور الحقيقية لها والتى عرضتها فى ذلك الكتاب ، ومن خلال حوادث ومشاهدات الأطباق الطائرة التى ثبت للعلماء صحة وقوعها .

وأثبت أن الأطباق الطائرة لا تأتى من كواكب أخرى وإنما هى السلاح الجوى للمسيخ الدجال وملاحوها ما هم إلا شياطين متمثلون فى هيئة آدمية وهم أعوان المسيخ الدجال الذين سخرهم إبليس لخدمته ، أن الأطباق الطائرة تخرج من عرش إبليس بمثلث برمودا ويقع فيه أيضاً مراكز ومعامل أبحاث المسيخ الدجال ، وأن جميع الأبحاث والتجارب التى يقوم بها شياطين الأطباق الطائرة على البشر والمزروعات تهدف جميعها إلى الوصول لنتائج علمية تمكّن الدجال من الفتن والمعجزات التى سيصنعها فى الأرض عند خروجه .

كما أثبت فى ذلك الكتاب أن الكاتب الأصلى لبروتوكولات حكماء صهيون هو

المسيخ الدجال وبالتعاون مع إبليس وذلك من خلال بعض النصوص الواردة فيها وأن الصهاينة وعبدة الشيطان ينفذون هذه البروتوكولات لتمهيد الأرض لخروج المسيخ الدجال وأن المسيخ الدجال هو القائد الخفي والحقيقي لحكومة العالم الخفية الصهيونية التى تسيطر على الأمم المتحدة ومجلس الأمن وكل القوى العظمى .

وعرضت بالكتاب إحدى الرسائل المتبادلة بين المسيخ الدجال وبعض الجماعات الصهيونية (جماعة الكابالا اليهودية) والتى كان يطمئنهم فيها بقرب ميعاد خروجه وبإحكام سيطرته بفضل جهودهم وجهود الصهاينة على كل القوى العظمى فى العالم الآن ويؤكد لهم فيها أنه الحاكم الفعلى والحقيقى الآن للأرض وهو المحرك الوحيد لكل أمورها من وراء الستار .

وحددت فى الكتاب علامات خروج الدجال الواردة فى الإسلام والتوراة والإنجيل وخلصنا منها إلى أن ٩٥ ٪ منها قد تحقق ولم يبق سوى جزء يسير وأن المسيخ الدجال أولى العلامات الكبرى للساعة قد اقترب خروجه .

٨ – نزول عيسى ابن مريم من السماء لنصرة المهدى المنتظر وأتباعه المسلمين من ظلم واضطهاد المسيخ الدجال والقوى الوثنية المتحالفة معه ؛ فيقوم بالقضاء عليه وعلى كل القوى العظمى المتحالفة معه ويفنى اليهود نهائياً فلا يتبقى بعد ذلك يهودى على وجه الأرض باستثناء من يدخل منهم فى دين الإسلام .

٩ – بعد ذلك يخرج يأجوج ومأجوج على عيسى وأتباعه من المسلمين فيقضى الله عليهم ويمكّن عيسى ابن مريم والمهدى المنتظر والمسلمين من كل الأرض فلا يقبل عيسى ديناً من أهل الأرض سوى الإسلام فينتشر فى كل أنحاء الأرض ويسلم عيسى قيادة العالم للمهدى المنتظر والمسلمين .

١٠ – بعد ذلك تقع باقى علامات الساعة الكبرى العشر ، والتى سبق وأن تحدثنا عنها فى الفصل الرابع من هذا الكتاب هذا بالإضافة إلى وقوع باقى علامات الساعة الصغرى التى لم تقع قبل وقوع أولى العلامات الكبرى للساعة ومن هذه العلامات الصغرى التى ستقع أثناء وقوع العلامات العشر الكبرى هدم الكعبة وظهور عبادة الأوثان وبقاء شرار الناس وذهاب الإسلام والإيمان من القلوب .

قائمة المراجع

أولاً- المراجع الإسلامية والتاريخية :

١ - القرآن الكريم .
٢ - تفسير الجواهر - الشيخ طنطاوي جوهرى .
٣ - الميزان في تفسير القرآن - العلامة السيد محمد حسن الطباطبائى .
٤ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - الفخر الرازى .
٥ - التفسير الوسيط - مجمع البحوث الإسلامية .
٦ - تفسير المراغى - أحمد مصطفى المراغى .
٧ - فى ظلال القرآن - سيد قطب .
٨ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير .
٩ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى - ابن حجر العسقلانى .
١٠- صحيح مسلم بشرح النووى - الإمام النووى .
١١- البداية والنهاية - ابن كثير .
١٢- قصص الأنبياء - النيسابورى .
١٣- معجم البلدان - ياقوت الحموى .
١٤- أطلس تاريخ الإسلام - د. حسين مؤنس .
١٥- المغول - د. السيد الباز العرينى .
١٦- الفتوحات الإسلامية - د. محمد نصر مهنا .
١٧- تاريخ الخلفاء - السيوطى .
١٨- تاريخ الأمم والملوك - الطبرى .
١٩- الكامل فى التاريخ - ابن الأثير .
٢٠- فتوح البلدان - البلاذرى .
٢١- تاريخ الإنسانية وأبطالها - محمد رضا .
٢٢- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - ابن قيم الجوزية .
٢٣- الأطلس التاريخى - عدنان العطار .

٢٤–الشرق الأدنى القديم ـ الجزء الأول ـ د. عبد العزيز صالح .
٢٥–معالم تاريخ الإنسانية ـ هـ . ج . ولز .
٢٦–الأطلس العربى ـ وزارة التربية والتعليم ـ جمهورية مصر العربية .
٢٧–ويسألونك عن ذى القرنين ـ أبو الكلام أزاد .
٢٨–الإشاعة لأشراط الساعة ـ البرزنجى .
٢٩–ثلاثة ينتظرهم العالم ـ عبد اللطيف عاشور .
٣٠–اقتربت الساعة ـ أحمد عبد الرحمن .
٣١–أشراط الساعة وأسرارها ـ محمد سلامة جبر .
٣٢–ذو القرنين ـ عبد الرحمن يوسف العبد ..
٣٣–الحرب العالمية القادمة فى الشرق الأوسط ـ هشام كمال عبد الحميد .
٣٤–المعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ـ جمهورية مصر العربية .
٣٥–المصباح المنير .
٣٦– مختار الصحاح .

ثانياً ـ المراجع المسيحية :

٣٧–الكتاب المقدس ـ الترجمة البروتستانتية .
٣٨–الكتاب المقدس ـ الترجمة السبعينية .
٣٩–قاموس الكتاب المقدس ـ دار الثقافة بالقاهرة ، بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط .
٤٠–تفسير سفر حزقيال ـ رشاد فكرى .
٤١–تفسير سفر الرؤيا ـ ناشد حنا .
٤٢– الأحداث النبوية مرتبة ترتيباً تاريخياً من الاختطاف إلى الحالة الأبدية ـ بروس أنيستى / ترجمة ثروت فؤاد .
٤٣– النبوءة والسياسة ـ جريس هالسل ـ ترجمة : محمد السماك .
٤٤–أطلس الكتاب المقدس ـ هـ . هـ . رولى ـ دار النشر المعمدانية .

الفهرس

مقدمة

الفصل الأول ـ نسب يأجوج ومأجوج :

١ – نسب يأجوج ومأجوج إلى آدم ونوح فى الإسلام ٥

٢ – نسب يأجوج ومأجوج إلى آدم ونوح فى التوراة والإنجيل ١٠

٣ – خرافات وأباطيل شائعة عن صفات وطبائع وأشكال يأجوج ومأجوج ١١

الفصل الثانى ـ قصة ذى القرنين مع يأجوج ومأجوج : ١٥

١ – قصة ذى القرنين فى القرآن ١٥

٢ – هل كان ذو القرنين نبياً من الأنبياء ١٨

٣ – الصفات الواجب توافرها فيمن نظن أنه كان ذا القرنين ٢٠

٤ – الإسكندر الأكبر لا تنطبق عليه صفات ذى القرنين ٢١

٥ – صفات ذى القرنين لا تنطبق على كورش الفارسى ٤١

٦ – آراء أخرى فى ذى القرنين ٤٣

٧ – أكثر من دليل يثبت أن ذا القرنين كان أحد ملوك اليمن ٤٤

٨ – كيف بنى ذو القرنين سد يأجوج ومأجوج ٥٧

٩ – موقع سد ذى القرنين على خريطة العالم ٥٩

الفصل الثالث ـ الخرائط الجغرافية القديمة تحدد موقع بلاد يأجوج ومأجوج : ٦٨

ـ خريطة العالم لابن حوقل ٦٩

ـ خريطة العالم للقزوينى ٧٠

ـ صورة للأرض للشريف الإدريسى ٧١

ـ خريطة العالم للجيهانى ٧٢

ـ خريطة العالم للمستوفى ٧٣

ـ صورة الأرض للصفاقسى ٧٤

الفصل الرابع ـ هدم سد ذى القرنين ؛ فخرج من وراءه التتار والمغول : ٧٧

١ – آراء كبار علماء المسلمين الذين أكدوا أن التتار والمغول يأجوج ومأجوج ٧٧
٢ – صفات يأجوج ومأجوج فى القرآن وأحاديث النبى ﷺ ٧٩
٣ – صفات يأجوج ومأجوج بالقرآن والأحاديث النبوية تنطبق على التتار والمغول ٨٣
٤ – بداية قيام امبراطورية المغول والتتار ٨٨
٥ – موقف الدول الإسلامية من امبراطورية المغول والتتار عند قيامها ٩٢
٦ – حملات يأجوج ومأجوج (التتار والمغول) على الدول الإسلامية والعالم . ٩٥
٧ – هدم سد يأجوج ومأجوج وخروج التتار والمغول من ورائه علامة من العلامات الصغرى للساعة ١٠٩
٨ – إذا كان التتار والمغول يأجوج ومأجوج فمن يأجوج ومأجوج المذكور خروجهم بعد نزول عيسى من السماء لقتل الدجال كعلامة من العلامات العشر الكبرى للساعة ؟ ١٢٠
٩ – نهاية يأجوج ومأجوج فى الإسلام ١٢٩

الفصل الخامس : سيرة يأجوج ومأجوج فى التوراة والإنجيل : ١٣١

١ – روسيا ودول شمال شرق آسيا هم يأجوج ومأجوج بالتوراة والإنجيل ١٣٥
٢ – خروج يأجوج ومأجوج فى نهاية الأيام للاستيلاء على البترول وسلب ونهب ما فى يد عيسى وأتباعه ١٤١
٣ – نهاية يأجوج ومأجوج فى التوراة والإنجيل ١٤٢

الفصل السادس : الأحداث السياسية العالمية والعربية التي ستقع على الأرض قبل خروج يأجوج ومأجوج : ١٤٦

١ – تجمع اليهود من شتات الأرض في فلسطين واتخاذ القدس عاصمة لهم . ١٤٩

٢ – ظهور الامبراطورية البريطانية ثم الروسية ثم الألمانية ثم حلف الأطلنطي . ١٥٠

٣ – ظهور أمريكا ثم دمارها . ١٥٠

٤ – ظهور المجموعة الأوربية كأكبر قوة عظمى بعد تدمير أمريكا . ١٥١

٥ – ظهور المهدى المنتظر وتوحيده للدول الإسلامية . ١٥١

٦ – وقوع الملحمة العظمى أو معركة هرمجدون بين المسلمين والمجموعة الأوربية. ١٥٢

٧ – خروج المسيخ الدجال بأطباقه الطائرة والشياطين من مثلث برمودا . ١٥٢

٨ – نزول عيسى ابن مريم من السماء للقضاء على المسيخ الدجال . ١٥٤

* قائمة المراجع ١٥٥

* الفهرس ١٥٧

كتب للمؤلف

١ – اقترب خروج المسيخ الدجال
« الصهاينة وعبدة الشيطان يمهدون لخروج الدجال بأطباقه الطائرة من مثلث برمودا » .
٢ – هلاك ودمار أمريكا المنتظر
٣ – الحرب العالمية القادمة فى الشرق الأوسط
٤ – المهدي المنتظر في الإسلام والتوراة والإنجيل
٥ – بداية ونهاية الفساد اليهودي في الكتب السماوية والتاريخية
٦ – أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية
٧ – الهندسية الوراثية وظهور دابة الأرض .
٨ – نهاية العالم هل هي أوائل القرن الواحد والعشرين .

رقم الإيداع : ٨٥٧٠ / ٩٧
الترقيم الدولي I. S. B/N. :
977 - 262 - 080 - 4

دار البشير – القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص. ب ١٦٩ المعادى ت : ٥٢٤٢٦٨٧ ، ٥٢٥٢٣٩٠